جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

مذكرة ماستر

ميدان العلوم الإنسانية و الاجتماعية
علوم إنسانية -تاريخ
تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
حناشي ريان

يوم: 2025/06/02

الفكر الإصلاحي عند محمد بن مصطفى ابن الخوجة (1865-1915)

لجنة المناقشة:

صادق بوطارفة	أ-مس-أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا و مؤطرا
هدى مغراوي	أ-مح-ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
صادق عبد المالك	أ-مح-أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2024-2025

بسم الله الرحمن الرحيم

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAI
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEURE ET DE I
RECHERCHE SCIETIUFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SCOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES
REF: / D.S.H/2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية -السنة الجامعية 2024- 2025
رقم : / ق.ع.إ / 2025

التصريح الشرفي الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز مذكرة الماستر

أنا الممضي أسفله،

-الطالب(ة): جنابتية رياض ..رقم بطاقة التعريف الوطنية: 110020244000180008 تاريخ الصدور: 11-08-2020

المسجل (ين) بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: العلوم الانسانية شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

والمكلف(ين) بإنجاز مذكرة ماستر الموسومة ب:

"الثقافة الحية عند سكان مدينة بسكرة القديمة (1918/1865)"

أصرح بشرفي(نا) أني(نا) ألتزم(نا) بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز المذكرة المذكورة أعلاه.

التاريخ 2025/05/26

توقيع المعني:

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAI
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE L
RECHERCHE SCIETIFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
السنة الجامعية 2023-2024

بسكرة في : 27/05/2025

الاسم واللقب الأستاذ المشرف صادق بوطارفة
الرتبة : أستاذ مساعد أ
المؤسسة الأصلية جامعة محمد خيضر بسكرة

الموضوع: إذن بالإيداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ: صادق بوطارفة وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر

للطالبة: ريان حناشي

في تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

والموسومة: بـ: " الفكر الإصلاحي عند محمد بن مصطفى ابن الخوجة (1865-1915)"

والمسجلة بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بإيداعها.

إمضاء المشرف

مصادقة رئيس القسم

جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص.ب 145 ق ر ، 07000 بسكرة.
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، القطب الجامعي ، شتمة .
Université Mohamed Khider, B.P145 RP 07000 Biskra
☎ 033.50.1240

الإهـــــداء:

بسم الله الرحمن الرحيم {وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين}
من قال أنا لها نالها.
لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها، ولم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات لكني فعلتها.
اهدي تخرجي الى مصدر الأمان الذي استمد منه قوتي العزيز الذي حملت اسمه فخرا والى من كلله الله بالهيبة والوقار من حصد الأشواك عن دربي وزرع لي الراحة بدلا منها ومن أبصرت به طريق حياتي واعتزازي بذاتي
والدي العزيز أطال الله في عمره.
الى من علمتني الأخلاق قبل أن أتعلمها الى الجسر الصاعد بي الى الجنة اليد الخفية والقلب الحنون وصاحبة الدعاء الصادق من ظلت دعواتها تحمل اسمي ليلا ونهارا، يامن وهبتني الحياة والحب ياخيرة أيامي وصفوتها أدامك الله ملكة فوق عرش قلبي
أمي الغالية محبوبتي وملهمتي شفاك الله.
الى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي الى العقد المتين مصدر قوتي من كانوا عونا لي في رحلة بحثي
إخواني وأخواتي، والى أبناء أختي" عائشة وملاك"
والى عائلة **حناشي** كل باسمه.
والى كل أصدقائي دفعة "2025/2024 "بدون استثناء والى أصحاب الفضل العظيم صديقات الرحلة والنجاح من وقفو بجانبي كلما أوشكت أن اتعثر صديقاتي" نور، راضية، حلال ،مدينة".
وأخيرا الشكر موصول لنفسي على الصبر والتي كانت أهلا للمصاعب ها أنا اختم كل مامررت به الحمد لله من قبل ومن بعد راجية من الله تعالى أن ينفعني بما علمني وان يعلمني ما أجهل ويجعله حجة لي لا علي.

شكر وعرفان:

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان وعلمه البيان.

أولا اشكر الله سبحانه وتعالى على ما أسبغه على من نعم، وعلى تيسير السبل فالحمد لله دائما وأبدا.

أتقدم بجزيل شكري

الى الأستاذ المشرف صادق بوطارفة

على كل ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستي.

اشكر كذلك أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، وأساتذة قسم التاريخ كل باسمه على المجهودات المبذولة لإيصالنا على ما نحن عليه الآن .

وفي الأخير اشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع ولو بكلمة طيبة.

مختصرات الدراسة:

تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
د.ب	دون بلد
د.د.ب	دون دار نشر
د.س	دون سنة
ص	صفحة
ط	طبعة
ط خ	طبعة خاصة
ع	العدد
ع. ت	عدد تجريبي
م	المجلد

مقدمـــة

في النصف الأول من القرن التاسع عشر عرفت الجزائر هجمة استعمارية شرسة ممنهجة تمثلت في الاحتلال الفرنسي الذي دعا الى طمس الهوية الوطنية للشعب الجزائري من دين ولغة وتاريخ، وقد اعتمدت الادارة الفرنسية على مجموعة من الوسائل لتحقيق هذا الهدف أبرزها ضرب المؤسسات التعليمية الدينية التقليدية كالزوايا والمساجد والمدارس القرآنية ، ونشر الجهل وتهميش الثقافة العربية الاسلامية في محاولة لعزل المجتمع الجزائري جذوره الحضارية وإحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة المحلية ،لكن هذا لم يزد الجزائريين إلا عزيمة لطرد الاستعمار ونيل الاستقلال. وفي ظل هذا الوضع المتدهور والتعفن ظهرت بوادر وعي فكري مقاوم تمثل في بروز نخبة من العلماء والمصلحين الذين ادركوا خطورة المشروع الاستعماري والذين أخذو على عاتقهم مهمة إخراج الجزائر من غياهب الجهل والتخلف الى الوعي الديني والنهضة العلمية ،فسعوا الى الحفاظ على الهوية الوطنية من خلال الدعوة الى الاصلاح الديني والتربوي والاجتماعي.

وممن تولى مهمة الاصلاح تلك الفترة نجد العلامة محمد بن مصطفى ابن الخوجة الذي يعتبر احد أعمدة الفكر الإصلاحي في الجزائر حيث قدم إسهامات مهمة في مجابهة التخلف والجهل والدعوة الى إحياء القيم الدينية الصحيحة وبث الوعي في المجتمع ،وهو ما يجعل دراسته ضرورة لفهم جزء من مسار الفكر الإصلاحي الجزائري وتفاعله مع التحديات الاستعمارية والثقافية .

- **الإطار الزماني والمكاني للدراسة: (1865-1915).**

امتدت بداية الدراسة من مولد العلامة الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة مطلع عام 1865، في ظل بيئة اجتماعية اتسمت بالجهل والفقر نتيجة السياسة الاستعمارية التأهيلية.

وانتهت الدراسة بوفاة ابن الخوجة عام 1915.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

تندرج هذه الدراسة ضمن مجال الدراسات التاريخية الفكرية والاجتماعية والثقافية، من هذا المنطلق جاء اختياري للموضوع كالتالي:

1. أهمية الفترة التاريخية (1865-1915)التي كانت حافلة بالأحداث على الصعيد الداخلي والخارجي ماساهم في تنامي الوعي الديني والوطني لدى الجزائريين وقد أدى ذلك الى بروز نخبة من العلماء والمصلحين الذين حملوا على عاتقهم مهمة النهوض بالمجتمع وانتشاله من الجمود والركود خاصة مع قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذه المرحلة المهمة.
2. تسليط الضوء على تاريخ الجزائر الثقافي الحافل بالأحداث .وتاريخ الحركة الاصلاحية بغرض معرفة رجال الاصلاح ،وأيضا لان الحركة الاصلاحية في الجزائر لم تلق دراسة وافية.
3. تسليط الضوء على شخصية فذة في تاريخ الجزائر لما كان لها وزن كبير بين رجال الاصلاح في الجزائر.
4. اعجابي بهذه الشخصية الفذة من خلال قراءة بعض مؤلفاته هذا ما دفعني للخوض في مسار هذه الشخصية وإبراز إسهاماته .
5. إماطة اللثام عن هذه الشخصية التي لم تنل حظها من الدراسة رغم ما قدمه من مساهمات فكرية تستحق الوقوف عندها.

- **أهداف الدراسة :**

1. الرغبة في توضيح ما قيل عن تأثيرات الفكر المشرقي في الجزائر.
2. المساهمة في إثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بالفكر الإصلاحي الجزائري من خلال تناول شخصية لم تحظى بالعناية الكافية من قبل الباحثين المعاصرين.

3. تسليط الضوء على إسهامات ابن الخوجة الفكرية ضمن المسار العام لحركة الاصلاح في الجزائر.

- **إشكالية الدراسة:**

في إطار السعي لاعتماد المنهج العلمي الأكاديمي في معالجة مضمون المذكرة، تدرجت على تصور إشكالية رئيسية في هذه الدراسة مفادها: ماهي ابرز ملامح الفكر الإصلاحي عند محمد بن مصطفى ابن الخوجة نهاية القرن التاسع عشر مطلع القرن العشرين؟.

وأردفت الإشكالية بمجموعة من الأسئلة الفرعية أهمها:

من هو ابن الخوجة؟ كيف كانت نشأته وتكوينه؟ ماهي العوامل المؤثرة فيه هل كانت محلية أم وافدة أجنبية؟ فيما تمثلت وسائل ومرتكزات الاصلاح عنده؟ أين تجلت اهتماماته الاصلاحية؟ و ما هو موقف السلطات الاستعمارية من نشاطه؟

- **خطة الدراسة :**

تم تقسيم الدراسة الى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة لأهم الاستنتاجات العامة حول الموضوع ومجموعة من الملاحق.

فقد تضمنت المقدمة تمهيدا حول الموضوع من الإطار الزماني والمكاني للدراسة، وأسباب اختيار الموضوع وأهدافه مع طرح الإشكالية العامة للدراسة مرفقة بأسئلة فرعية، والمنهج المتبع بالإضافة الى المراجع المعتمدة والصعوبات التي واجهتني في انجاز هذا العمل.

الفصل التمهيدي جاء تحت عنوان إرهاصات تشكل الحركة الاصلاحية في الجزائر، تضمن ثلاث عناصر ففي العنصر الأول تناولت مفهوم الاصلاح، ثانيا مفهوم الحركة الاصلاحية، أما العنصر الأخير جاء تحت عنوان ظهور الحركة الاصلاحية في الجزائر وعوامل بروزها.

الفصل الأول عنونته بالحياة الشخصية لمحمد بن مصطفى ابن الخوجة، تضمن أربعة عناصر أولا مولده ونسبه ،العنصر الثاني كنيته العنصر الثالث تناولت فيه نشأته ،أما العنصر الرابع والأخير تطرقت فيه الى تكوينه العلمي والعوامل المؤثرة فيه التي تنوعت بين الاجتماعية، الاقتصادية ،السياسية والدينية.

أما الفصل الثاني فجاء حول وسائل ومرتكزات الاصلاح عند ابن الخوجة ، وقسمته الى أربعة عناصر سلطت العنصر الأول على شيوخه الذين تتلمذ على يدهم ،أما العنصر الثاني تطرقت فيه على الكتابة الصحفية والتي تمثلت في عمله في جريدة المبشر ، أما العنصر الثالث تناولت فيه التعليم المسجدي عنده أما العنصر الأخير خصصته لدراسة مؤلفاته التي تعددت وتنوعت.

وخصصت الفصل الثالث والأخير والذي جاء تحت عنوان اهتمامات ابن الخوجة وقضاياه الاصلاحية، وقد قسمته الى خمسة عناصر ،ضم العنصر الأول موضوع المرأة وموقف الشيخ منه ،والعنصر الثاني عرجت فيه الى موقف الشيخ من التعليم أما العنصر الثالث تحدث فيه الشيخ عن موضوع الصحة الجسمية وموقفه منها أما العنصر الرابع دعا فيه الشيخ الى الدفاع عن العقيدة الاسلامية ،وأخيرا محاربته للبدع والخرافات.

وأنهيت الدراسة بخاتمة حوصلت فيها مختلف النتائج المتوصل إليها ،وارتأيت توظيف بعض الملاحق ذات الدلالة والأهمية التاريخية لتغطية بعض جوانب الدراسة.

- **المناهج المتبعة:**

لقد سلكت في إعداد هذه الدراسة على توظيف المنهج التاريخي الوصفي حيث تم استخدامه في عرض الأحداث والظواهر الاجتماعية الثقافية والسياسية وفق تسلسل زمني متدرج بهدف الكشف عن مظاهر وأشكال الاصلاح عند محمد بن مصطفى ابن الخوجة ،كما استعنت بالمنهج التحليلي في دراسة مختلف القضايا ومناقشتها وتحليلها من اجل الوقوف على مضامينها واستخلاص دلالاتها.

- **أهم المصادر والمراجع المعتمدة:**

أما المادة العلمية التي اعتمدت عليها في انجاز هذه الدراسة فتنوعت بين الوثائق المصدرية وكذا الدراسات الاكاديمية الهامة مع بعض الدراسات المعاصرة التي عالجت الموضوع.

- **أولا المصادر:** اعتمدت على مصادر أولية رئيسية منها كتاب الاكتراث بحقوق الإناث وكذا كتاب اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب لمحمد بن مصطفى ابن الخوجة اللذان أفاداني كثيرا خاصة في موضوع المرأة ،إضافة الى كتابات هامة أهمها الجزائر الفرنسية كما لم يراها احد الأهالي لشريف بن حبيلس
- **ثانيا المراجع:** بالإضافة الى توظيف وتنويع عدد كبير من المراجع منها على سبيل المثال كتب تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله بجزئية الثالث والسابع اللذان أفاداني كثيرا خاصة في مؤلفات ابن الخوجة العلمية بالإضافة الى كتاب رواد الصحافة الجزائرية للزبير سيف الاسلام الذي ساعدني خاصة في نشاط الشيخ الكمال في جريدة المبشر، أيضا كتاب علي تابليت أعمال محمد بن مصطفى ابن الخوجة الذي ساعدني من ناحية الملاحق فوجدت فيه صور لأوسمة الشيخ الكمال وكذا ضريحه بمقبرة الحامة.
- **المقالات والرسائل الجامعية:** كما وظفت العديد من المقالات التي لها صلة بالموضوع على غرار مقال الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1915/1865.وأطروحة الدكتوراه لعبد المجيد بن عدة الخطاب النهضوي في الجزائر1954/1925،واللذان بدورهما أفاداني كثيرا في العديد من جوانب الدراسة.

- **الصعوبات:**

من الصعوبات التي واجهتني خلال انجاز هذه الدراسة :

- عدم توفر المادة العلمية التي تهم هذه الدراسة كمقالاته في جريدة المبشر والتي لم يسعفني الحظ في الوصول إليها.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن احمد الله سبحانه وتعالى على الصحة والصبر الذي منحني إياه لإتمام وإخراج هذه الدراسة.

الفصل التمهيدي

إرهاصات تشكل الحركة الإصلاحية في الجزائر

- **أولا : مفهوم الإصلاح**
- **ثانيا :مفهوم الحركة الاصلاحية**
- **ثالثا: ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر**

1. مفهوم الإصلاح

- **لغة:**تتفق المعاجم اللغوية العربية على أن الإصلاح ضد الفساد، جاء في لسان العرب "الصلاح ضد الفساد والإصلاح نقيض الفساد" [1]وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: «أصلح الشيء أزال فساده رتبه ونظمه ضد أفسده"، أصلح السيارة / النظام/ الأخلاق،أصلح ما بينك وبين الله يصلح ما بينك وبين الناس[2]وفي المعجم الوجيز (صلَحَ)الشيء صَلَاحا كان نافعا أو مناسبا (أصلح الشيء أزال فساده[3]والإصلاح من صلح والاصلاح هو إقامة الشيء بعد فساده[4] أو الشيء كان نافعا أو مناسبا يقال هذا الشيء يصلح لك[5] و الصلاح هو الاستقامة و السلامة من العيب.[6]
- **اصطلاحا:** يعني الإصلاح في الإسلام محاربة الفساد بالدرجة الأولى[7]و ورد لفظ الإصلاح ومشتقاته في القرآن الكريم مائة وثلاثة وسبعين مرة منها ما يلي:

أ. إن لفظ الإصلاح أو أحد مشتقاته جاء مقترنا بالفساد ونقيضا له:في قوله تعالى: وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا [8]

ب. جاء مقترنا بالأيمان والكفر في قوله تعالى: وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[9]

1ابن منظور،لسان العرب، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ،القاهرة، (دس)،ص2479

2أحمد مختار عمر،معجم اللغة العربية المعاصرة،م1، عالم الكتب، القاهرة،2008 ،،ص1312

3مجمع اللغة العربية،المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر،1994 ،ص 368

4 راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد السيد الكيلاني، دار المعرفة،بيروت،ص ص284-285

5مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، ط4،مكتبة الشرق الدولية،مصر،2004 ، ص205

6مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، المرجع السابق،ص368

[7]حمادي هواري، الإصلاح والنهضة في الاسلام، مجلة الرستمية، م1، ع1،جامعة ابن خلدون (الجزائر)،2020،ص70

[8] سورة الأعراف: الآية 56

[9] سورة الأنعام :الآية 48

ج. جاء مقترنا بالإيمان لقوله تعالى: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ[1]

د. جاء بمعنى حسن المنزلة لقوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ[2]

هـ. جاء بمعنى التزام شرع الله لقوله تعالى :إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ[3]

و. جاء مقترنا بالثواب والجزاء في قوله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [4]

وعلى ضوء هذه المقاربات المعرفية يمكننا أن نعرف الإصلاح :«كلمة أصلية تدعو إلى التغيير نحو التقدم مع الحفاظ على الأصالة والجذور."[5]

فهو حسب هذا محرك لتغيير الحال الراهن نحو الازدهار والرقي، فالإصلاح يجب أن ينطلق من القديم نفسه في تطويره وتجديده وتأهيله للتعامل مع ثقافة العصر وتحدياته[6] فهو تعديل أو تطوير غير جذري .[7]

والاصلاح الديني هو إزالة البدع والخرافات من العقيدة والشريعة وإصلاح أمر من الأمور هو تحسينه تدريجيا للحصول على نتائج أفضل مثل الإصلاح الاجتماعي والسياسي تقابله الثورة.[8]

وقد عرف الدكتور محمد البهي الإصلاح حيث قال: نعني بالإصلاح الديني في مجال الاسلام محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية،ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد

---

[1] سورة الرعد :الآية 23

[2] سورة البقرة :الآية130

[3] سورة هود :الآية 88

[4] سورة النحل :الآية 97

[5] محمد بهي الدين سالم،ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير،دار الشروق، القاهرة، 1999، ص05

[6] محمد أبو رمان،الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي المقاربات القرى الأولويات الاستراتيجيات،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت،2010 ، ص229

[7] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة،ج1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (دس)، ص 206

[8] محمد اليعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الإعلام، ط2،الميزان للنشر والتوزيع،الجزائر، 1998،ص85

التخفيف من وزنها على نفوس المسلمين،وكذلك محاولة السير بالمبادئ الاسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها حياة المسلمين إلى حياة المسلم المعاصر"[1]

والإصلاح في معناه العام:

وفقا لمصادر الحركة الاصلاحية هو عملية دينية وثقافية تهدف إلى الاحياء والتقويم، قادتها ثلة من العلماء والمثقفين والملتزمين بالعروبة والإسلام والمتأثرين بالحركة الاصلاحية في المشرق.

وقد سعت هذه الحركة على القضاء على الفساد والانحلال الثقافي والاجتماعي، ومواجهة البدع والخرافات والضلالات [2]وذلك من خلال عدة وسائل أبرزها نشر التعليم الحر، الحر، تفعيل دور المساجد والصحف والمجلات وإيفاد الطلبة في رحلات علمية لاكتساب المعرفة ونقلها إلى مجتمعاتهم[3]

2-مفهوم الحركة الإصلاحية:

إن الإصلاح من منظور الطلبة الجزائريين لم يكن مجرد شعار لتحقيق أغراض سياسية محددة بل أداة إستراتيجية تهدف إلى بناء مقاومة ثقافية حقيقية وقد ارتكز هذا التوجه على تحديث التعليم باعتباره الوسيلة الأساسية لتكوين الفرد القادر على تحمل مسؤولية هذه المقاومة والاستفادة من نتائجها.[4]

[1]محمد البهي،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،ط 4، مكتبة وهبة، مصر،1964 ، ص395

[2]خولة ديفلاوي،الإصلاح في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين،مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، م4،ع1، جامعة يحي فارس المدية(الجزائر)، 2023،ص 298

[3] لمرجع نفسه، ص298

[4] جيلالي صاري، هجرة الجزائريين نحو أوروبا،طبعة خاصة وزارة المجاهدين،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر،2007 ،ص57

أما الحركة الاصلاحية :

هي تعبير عن الحاجات الأساسية للمجتمع الإسلامي بغض النظر عن مضامينها الدينية والأخلاقية وتعريفاتها اللغوية ودلالاتها الإيديولوجية فيما يتصل بالنشاط الثقافي والعلاقات الاجتماعية والمتطلبات الاقتصادية والأحوال السياسية، وهذا ما جعل الحركة الاصلاحية بمثابة مشروع مجتمعي شامل يرتكز على إحياء القيم الحضارية ويسعى إلى تجديد النظرة للحياة خاصة في ظل ما شهدته المجتمعات الإسلامية من تراجع اقتصادي وتفكك اجتماعي [1]حيث جاءت هذه الحركة كرد فعل على هذه الأوضاع ،محاولة استنهاض الامة عبر إصلاح الفكر والتعليم والمجتمع،بما يضمن استعادة مقومات النهضة والتقدم وتجاوز واقعها المأساوي والسعي نحو تحقيق توازن ونمو داخلي يلبي مختلف احتياجاتها.[2]

ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر:

كثيرا ما نقر بأن إرهاصات العمل السياسي والإصلاحي الوطني في الجزائر لم تبرز إلا مع مطلع القرن العشرين، وهذا الرأي يتناقض مع الوقائع التاريخية التي دلت على أن بذور هذا العمل إنما تشكلت منذ عام1830 ، عندما تعرضت الجزائر للاحتلال، وعلى إثر ذلك بدأ الشعور الوطني ينتاب الجزائريين ويدفعهم إلى فعل أي شيء يخلصهم من الاستعمار وبراثنه، وإذ كانت المقاومة المسلحة قامت بدورها في هذا المجال فإن النشاط الإصلاحي عبر هو الآخر عن هذا الدور الذي تجسد في الحركة التي قادها المصلحون والعلماء[3].وأعلام الإصلاح أو كما يرى أبو القاسم سعد الله نعني أولئك الجزائريين المثقفين[4].

---

[1]ناصر الدين سعيدوني،الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري،من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009 ،ص208

[2] نفسه، ص 209

[3]فتح الدين بن أزواو، جذور الفكر الإصلاحي في الجزائر ومؤثراته (1931/1830) ،المجلة التاريخية الجزائرية، ع 4،جامعة محمد بوضياف المسيلة(الجزائر)،2017، ص 200

[4] فتح الدين بن أزواو ، المرجع السابق، ص ص، 200،201

لقد عرفت الجزائر الحركة الاصلاحية منذ نهاية القرن التاسع عشر و تأكد ذلك بصورة جلية بعد زيارة الشيخ محمد عبده [1] إلى الجزائر في سبتمبر[2] 1903 ومن الذين برزوا في هذه المرحلة نذكر :

- الشيخ عبد القادر المجاوي (1913/1848) ،الذي عرف برسالته الشهيرة إرشاد المتعلمين، نشرت في القاهرة سنة 1977 ، تخرج على يده الشيخ حمدان لونيسي،الذي سيصبح فيما بعد أستاذ لعبد الحميد بن باديس و الشيخ أبو القاسم الحفناوي(1942/1852)، المفتي المالكي و صاحب الكتاب الشهير "تعريف الخلف برجال السلف" الصادر جزءه الأول سنة1905 ،والجزء الثاني سنة1907،والذي درس في الجامع الكبير بالعاصمة مساهما بذلك في توضيح صورة الماضي في أذهان الجزائريين وخاصة في المحافظة على التراث الثقافي، والشيخ مصطفى ابن الخوجة (1915/1865)،الذي اهتم كثيرا بشؤون المرأة الجزائرية وبنشر أعمال المفكرين المسلمين وتحقيقها ومن مؤلفاته الاكتراث في حقوق الإناث الذي صدر عام 1897،والشيخ عبد الحليم بين سماية (1933/1866) رائد الاتجاه السلفي في الجزائر [3]وكان مدرسا في المدرسة الثعالبية الرسمية في العاصمة،وهو الذي أصدر فتوى تحرم محاربة العثمانيين أثناء الحرب العالمية الأولى.[4]

---

[1] (1905/1849) عالم دين ومجدد إسلامي مصري يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والاصلاح في العالم العربي والإسلامي ساهم في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن 19 وبداية القرن أل 20 بعد التقائه بجمال الدين الأفغاني للمزيد ينظر :عثمان أمين، رائد الفكر المصري الامام محمد عبده،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1996، ص ص 20-30

[2]كمال عجالي، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيح الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد،وزارة الثقافة،الجزائر، 2004، ص39

[3]محمد طهاري، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر الكتاب الثالث الشيخ عبد الحميد ين باديس، دار الامة للطباعة والنشر، الجزائر،1999 ، ص 09

[4]كمال عجالي المرجع السابق ص39

مع مطلع القرن العشرين بدأت ومضات الإصلاح تلوح في الأفق تبشر بطلائع نهضة اصلاحية، ومن بين العوامل التي ساهمت في ظهور الحركة الاصلاحية في الجزائر نذكر: [1]

عوامل داخلية وأخرى خارجية تمثلت الداخلية في السياسة الفرنسية حيث سعى الاستعمار الفرنسي إلى فرنسة وطمس هوية الشعب الجزائري والقضاء على مقوماته من لغة وثقافة ودين من أجل تحطيمها وتشويهها والقضاء عليها، وكذا التنصير ومحاولة الإدماج ما انعكس على ثقافة المجتمع الجزائري.

بينما الخارجية تمثلت في تأثير الجامعة الاسلامية حيث عرف العصر الحديث بروز العديد من الحركات الاصلاحية التي حاولت تطهير العقيدة والعودة بالإسلام إلى صفائه الأول أبرزها الحركة الوهابية في أواخر القرآن18التي أسسها محمد بن عبد الوهاب واعتبرت بداية النهضة العربية.[2]

كما أن لأفكار الشيخ محمد عبده عبر مجلة العروة الوثقى وكتبه الأخرى تأثيرا كبير على العلماء الجزائريين كمصطفى ابن الخوجة وغيره.[3]

زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة[4] 1903 هذه الرحلة كان لها أثر عظيم في نفوس المثقفين وعلماء الدين حيث تبنت الشخصيات العلمية والمؤثرة في المجتمع أفكاره وتأثرت بفكره (ينظر الملحق رقم 02) التحديثي، مما ساهم في نشر مبادئ الإصلاح الديني والفكري في المجتمع.[5]

---

[1] خوله ديفلاوي، المرجع السابق،ص300

[2] نفسه ،ص299

[3] فتح الدين بن زواو، المرجع السابق، ص 206

[4] علي مراد، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر،تر : محمد يحياتن ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار الحكمة،الجزائر، 2007، ص 36

[5] منير صغيري، الفكر الإصلاحي التجديدي للشيخ محمد عبده وأثره على الحركة الاصلاحية في الجزائر(1903/1931) ،مجلة المعارف للبحوث والدراسات، جامعة الوادي(الجزائر)،(2012/2013)، ص ص265-266

كذلك تأثير دعاة الإصلاح المشارقة حيث كان إنتاجهم الفكري يتسرب إلى الجزائر مع مطلع القرن العشرين، وقد لقي هذا الفكر اهتماما بالغا إذ كان الجزائريون يترقبون وصوله بشغف ويحيطونه بعناية واهتمام مما ساهم في تشكيل الوعي الإصلاحي المحلي وتعزيز روح التجديد في مختلف المجالات[1].

عودة المثقفين الجزائريين الذين أنهو تعليمهم في المعاهد الإسلامية في مصر وتونس و الحجاز مهد الإسلام الأول ومنطلق الدعوة إلى الحق ومبعث الإصلاح الإنساني حيث كان لعودتهم دور كبير في نشر الفكر الإصلاحي، فقد تلقوا هناك تعليما عميقا وصقلوا أفكارهم الإصلاحية فكان تأثر هم بالحركات الاصلاحية بارزا حيث سعوا إلى تطبيق مبادئها في الواقع الجزائري[2].

كل هذه العوامل ساهمت بشكل كبير في ظهور الفكرة الاصلاحية في الجزائر التي أعادت وبعثت الروح الإسلامية والوطنية للشعب الجزائري كما لعبت دورا مهما في مواجهة الاستعمار والحفاظ على الهوية الجزائرية، وأوجدت جيلا من النخبة المثقفة طلائعية التفكير إسلامية الروح عربية النفس في الوطن الجزائري.[3]

[1] فتح الدين بن زواو، المرجع السابق، ص 206

[2] أحمد طالبي الإبراهيمي، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ص182

[3] كمال عجالي المرجع السابق ص39

الفصل الأول

الحياة الشخصية لمحمد بن مصطفى ابن الخوجة

- **أولا :مولده ونسبه**
- **ثانيا: كنيته**
- **ثالثا :نشأته .**
- **رابعا :تكوينه العلمي والعوامل المؤثرة فيه**

- **أولا : مولده و نسبه:**

هو محمد بن مصطفى ابن محمد فتحا بن باكير خوجة[1]ولد في الجزائر العاصمة[2]يوم الاثنين في شهر شعبان سنة1282هالموافق ل1865م وسط عائلة معروفة بالورع والتقوى والعلم ينتمي إلى بيت حسن باشا و أم والده تنتمي إلى نسل الشيخ محمد بن جعدون الطائر الصيت[3]بناء على ما قال عن نفسه هو من أصل تركي كان من كبار علماء الجزائر المعاصرين حيث كان مصلحا و مجددا و جمع بين الفقه و الأدب.[4]

يعتبر من الأوائل الذين حاربوا البدع والخرافات في الجزائر ومن الذين اتبعوا منهج الامام محمد عبده في الإصلاح[5]أثنى عليه الشيخ محمد رشيد رضا حيث قال عنه " ومن خيار علماء الجزائر الشيخ بن مصطفى ابن الخوجة صاحب المصنفات.[6]

- **ثانيا:كنيته**

لقب بالكمال[7]وتشير معظم الدراسات التاريخية أن من صفاته الجسمانية أنه كان ذو بنية قوية ممتلئ الجسم حتى شبهه أقرباءه و مشايخه بالمضربة [8]كان رحمة الله عليه ذو بشرة بيضاء وجه حسن أشقر الشعر كان يرتدي ملابس أهل الحضر الجزائريين كالعباءة

---

[1]محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، تق: محمد شايب شريف،دار ابن حزم، بيروت،2005 ،ص9

[2]مسعود كواتي،أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، دار الحضارة، الجزائر2007 ، ص10

[3]علي تابليت، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة، منشورات خمسينية، الجزائر2012 ، ص10

[4]عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج5 ، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر، 2009، ص319

[5]محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 128

[6]عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر (1954/1925) ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،(2005/2004)،ص69

[7]هذا اللقب إقرار من أقرانه بنبوغه وإتقانه للعلم والفنون وتحليه بالأخلاق الحميدة .للمزيد ينظر: محمد نواسة، مئوية الشيخ محمد بن مصطفى بن خوجة(1965/1865)، مجلة القلم،،ع ت، جانفي2016 ،ص14

[8]وهي في العامية المغربية حاشية الصوف التي ينام عليها وذلك لسمنه رحمة الله عليه ينظر: محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص128

والبرنوس و الجبادولي وكان يرتدي فوق رأسه قلنسوة تونسية حمراء[1]. (ينظر الملحق رقم 01)

كان في بعض الأحيان يرتدي العمامة عندما يجلس لختم رواية صحيح البخاري ليلة السابع والعشرين من رمضان بجامع السفير [2]وهذه العمامة كانت تشبه إلى حد ما عمائم الشرق المستعملة لدى العلماء الأتراك إبان فترة الحكم العثماني في الجزائر أنجب ابن خوجة طفلا واحدا أسماه الكمال .[3]

- **ثالثا:نشأته**

تربى محمد بن مصطفى ابن الخوجة وسط عائلة معروفة بالورع والتقوى وتعلم مبادئ اللغة العربية في كتاتيب العاصمة أي أنه نشأ تنشئة دينية وسط عائلة متدينة وشريفة.[4]

وكان رحمة الله عليه في منتهى الذكاء، سلفي العقيدة مكافحا عنها، وكان فصيح العبارة شعرا ونثرا لا تأخذه في الله لومة ولا يبالي بما يلاقيه في ذلك من نكران أو جحود أو عناد ذا أدب جم وعلم وافر، وكان له إطلاع واسع على آداب اللغة العربية وأسرار الشريعة الإسلامية وأحكامها.[5]

لقد كان عصاميا في اكتساب ثقافته وتكوين نفسه،ولم يدرس سوى بالعاصمة حيث لم يدرس بالزوايا الداخلية أو المعاهد الاسلامية دخل الكتاب وعمره خمس سنوات وختم سوق البقرة قبل الختان وحفظ القرآن الكريم وهو ابن الحادية عشر من عمره[6].

---

[1]عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص324

[2]محمد نواسة، المرجع السابق، ص13

[3]عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص325

[4]علي تابليت، المرجع السابق ص 09

[5]عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ،ص319

[6]عبد المجيد بن نعيمة و آخرون ،موسوعة أعلام الجزائر(1954/1830) المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر ،ص421

قال عنه صديقه و تلميذه عمر راسم"أنه شاعر الجزائر وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر كثير الاطلاع بكتب عصره حلو الكلام وكان إذا خطب استدل بالآيات و الأحاديث"[1]

- **رابعا:تكوينه العلمي والعوامل المؤثرة فيه**

مر ابن الخوجة في تكوينه بعدة مراحل ساهمت في تكوين موهبته وكانت كفيلة لإظهار قدرته لعلماء عصره عامة والجزائر خاصةً فظهر في ثوب فقيه مصلح ولغوي متمدرس.[2]

حيث أجمع مشواره العلمي في ورقة كتبها بخط يده بقول فيها: «ولدت في شهر شعبان يوم الاثنين سنة 1282 هـ، ودخلت المكتب وعمري خمس سنين وختمت البقرة قبل الختان، ووعيت القرآن في صدري وأنا ابن الحادي عشر سنة وخرجت من المكتب وفى عمري خمسة عشرة سنة اشتغلت بطلب العلم شهوراً يسيرة وأنا ابن الثماني عشرة سنة[3]."

فقرأت نبذة من الأجرومية على يد المدرس المشارك قدور باصوم[4]مع نبذة من الألفية، وقرأت الأجرومية أيضا على الحسيب محمود حفيد الشيخ علي بن الأمين والشيخ الفقيه

[1]عمار طالبي،آثار ابن باديس، م1، الشركة الجزائرية،الجزائر، 1968، ص34

[2]بن يوسف فاطمة عبد الباسط قلفاط، الشيخ محمد بن مصطفي بن خوجة وجهوده الاصلاحية في الجزائر(1915/1865)من خلال وثائق جديدة، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، م6،ع، 1 مؤسسة هيرودوت للبحث العلمية والتكوين ،2022 ،ص3

[3]محمد ابن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة واللباس و الاحتجاب،المصدر السابق، ص 07

[4] هو قدور بن محمد بن سليمان سار على الطريقة الشاذلية ثم أضيف إليها التجانية له كتاب شرحه على حداثة المسماة بياقونة الصفافي المصطفى صلى الله عليه وسلم . للمزيد ينظر :أبي القاسم محمد الحفناوي،تعريف الخلق برجال السلف،، الجزائر، 1906،ص 323

النحوي السيد محمد القزادري[1]والرجل الصالح الأستاذ الفقيه الشيخ علي بن سماية[2] الذي اخذ عنه مرفاة الطلاب في علم الحساب .[3]

ودرس سلم الأخضري على يد العالم النحير السيد علي بن الحاج موسى وقرأت الجوهرة على العالم المتفنن الشيخ محمد السعيد الزواوي وختمت عليه السمرقندية في الاستعارات وأم البراهين للسنوسي و حضرت دروس العلامة المحقق شيخ الجماعة علي بن الحفاف في الدراية لصحيح البخاري مدة تقرب من أربع سنين [4].

وبعد مرحلة الدراسة والتعلم بدأ حياته العلمية التي قضاها بين المسجد وجريدة المبشر و التأليف عين حزابا في الجامع الأعظم بمدينة الجزائر سنة 1880 ثم عين سنة 1884 حزابا في الجامع الجديد [5]عين موظفا في الادارة الفرنسية سنة 1886 ، ومدرسا بجامع السفير سنة1895.

عمل في جريدة المبشر كمحرر للغة العربية من سنة1869 إلى 1901و عين وكيلا على ضريح عبد الرحمان الثعالبي سنة1913.[6]

الظاهر أن شخصية ابن الخوجة قد تأثرت بمجموعة من العوامل الداخلية، إلى جانب بعض المؤثرات الخارجية الوافدة .فقد ساهمت البيئة المحلية والظروف الداخلية في الجزائر

---

[1] كان إماما بالجامع الكبير ومدرسا بالثعالبية للمزيد ينظر : عمار عمورة الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ ج 1، 1962،دار المعرفة ،الجزائر،ص 275

[2] من أعلام الإصلاح في الجزائر أواخر القرن 19 مطلع القرن 20ولد في سبتمبر 1866 ينتمي الى أشهر العائلات العاصمية . للمزيد ينظر :محمد دراوي، أضواء على حياة ومواقف الشيخ عبد الحليم بن سماية وجهوده الاصلاحية (1933 /1966)،مجلة عصور ، ع36 ، جامعة وهران(الجزائر)،2017 ،ص06

[3]عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق،ص 424

[4] نفسه، ص421

[5]عبد الله بابا، موقف الشيخ البكري بن عبد الرحمان التواتي من كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري سنة 1898،مجلة عصور الجديدة، م 10 ، ع 2 ، جامعة أحمد بن بله وهران(الجزائر)، جوان2020 ، ص281

[6]عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق،ص421

المستعمرة في تشكيل رؤاه إذ كان يعيش في ظل السياسة الفرنسية المتبعة انذاك، مما ساهم في تكوين شخصيته وتوجهاته الاصلاحية.[1]

- **العوامل الداخلية:**

يمكن تلخيص العوامل الداخلية في السياسة الفرنسية الاستدمارية الوحشية تجاه الشعب الجزائري الذي صنف كرعايا و عبيد في أرضه حيث تم تجريده من كل حقوقه السياسية التي يتمتع بها على الرغم من إصدار قرار1834 الذي يقضي بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا تلاه إصدار قانون ستانوس كونسيلت عام1865الذي اعتبر الجزائريين مجرد رعايا فرنسيين ولكنهم يخضعون لأحكام الشريعة الاسلامية وقرار1865الذي أوضح بأن الجنسية الفرنسية غير متناسبة مع حالة المسلم الجزائر ما دام يعيش بمقتضى الشرع الإسلامي[2] ولم تكتف الإدارة الفرنسية بهذا فقط فقد مارست كل أنواع الذل والاحتقار في حق الشعب الجزائر حيث قامت بإصدار جملة من القوانين التعسفية في شتى المجالات السياسية مثل القانون المشيخي الخاص بالجنسية وقانون كريميو الخاص بتجنيس اليهود 24 أكتوبر[3] 1970 وقانون الأهالي عام 1871 الذي تضمن نوعا خاصا من العقوبات يعاقب عليها الجزائريون[4]وغيرها من القوانين التي حطمت مقومات المجتمع الجزائري المادية والمعنوية،و استولت على مؤسساته بعد ما حلت مؤسسات الدولة .

أما اقتصاديا فقد عملت الادارة الفرنسية على الاستيلاء على الأراضي بمختلف الوسائل فأصدرت الغرامات والضرائب التي أثقلت كاهل الجزائريين فأصدرت قانون ستانوس

---

[1]عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص138

[2]أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية(1930/1900)، ج2، ط 4،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص24

[3]بن يوسف فاطمة، كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري في جريدة المبشر(1915/1805)، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، م 9،ع 2،جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر). 2024،ص261.

[4]أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص325.

كونسيلت في 22 أفريل 1963 الذي يقضي بتمليك الجزائريين الأراضي التي تحتَ أَيديهم سواء كانت ملكا لهم أو مشاعة بين الأعراش،الغرض منه تشجيع الملكية الفردية و تقسيم القبائل لإضعافها وقانون فارني1973الذي نص على إرساء قاعدة الملكية الفردية والخاصة و فرنستها وغيرها من القوانين التي مارسها الاستيطان الفرنسي في الجزائر والذي أثر سلبيا على الوقع الاقتصادي للجزائر .[1]

لم يكتف المستعمر بهذه الممارسات الشنيعة بل تعداها لينتهك حرمة الدين الإسلامي فدنس المساجد وصادر الأوقاف وعمل على فصل الدين على الدولة هذه السياسة وصلت أوجها على يد الجنرال لا فيجري [2]الذي سعى لنشر المسيحية عن طريق التعليم مستغلا حالات الفقر والجهل[3].

أما اجتماعيا وثقافيا لكي يحصل الاستعمار على الاستقرار في الجزائر و تحقيق استيطان طويل الأمد عمل على تفكيك البيئة الاجتماعية وزرع الاجسام الأوروبية الغربية . بكل ما تحمله من تحيز ثقافي فكري وحضاري في جسد المجتمع الجزائري العربي المسلم نتيجة لهذه السياسية تفشت البطالة بصورة ملموسة، كما عمل بمقتضى المبدأ الروماني فرق تسد فدحرت البنايات الاستعمارية للفرد وألجأته إلى الحياة من أجل ذاته ولقد سعى الاستعمار لإحداث شروخ وفجوات بين أبناء الوطن الواحد والجسد الواحد بالتفريق بين الناطقين باللسان العربي و الناطقين باللسان الأمازيغي والعمل على خلق أناس في نسبتين

[1]لكحل عبد الكريم،السياسة الاستعمارية العسكرية والاقتصادية وتأثيرها على الجزائر(1930/1900)،المجازرة ومصادرة الأراضي نموذجا، مجلة دراسات وأبحاث ، م15. ع1،جامعة زيان عاشور،الجلفة(الجزائر)،2023 ،ص434.

[2] هو شارل مارسيال ألمان لافيجري ولد في إلى 31 أكتوبر 1825 ب "وير" بايون .عمل أستاذ بجامعة السوريون بباريس ثم اتجه إلى سوريا لمساندة الشركة التبشيرية عن طريق التعليم للمزيد ينظم : طيطوش حدة، الكاردينال لافيجري وأبعاد مهمة التبشيرية في الجزائر 1880/1867 ، مجلة مدارات تاريخيه مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات ، 2019،ص ص521،522.

[3]مراد قبال، السياسة الاجتماعية الفرنسية في الجزائر أهدافها وتداعياتها1939/1830،مجلة القطاس،ع 9، مؤسسة الأندلس للثقافة، جويلية2018، ص130 .

معتدلتين مسالمين غير متمردين يتقبلون الثقافة والأفكار الجديدة للوجود استعماري إضافة إتباعها سياسة الفرنسة لطمس اللغة العربية والقضاء على الهوية الوطنية الجزائرية كما في هذا المجال من ضمن الأساليب التي اعتمدتها فرنسا في إصدار قانون حق تجنيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية لإغراء كثير منهم على التنكر من الاسلام والتبرؤ من الجنسية الإسلامية والذوبان في الجنسية الفرنسية [1].

لقد عاش ابن الخوجة ضمن ظهور بوادر النهضة الجزائرية وبداية نضوج الحركة الفكرية في الجزائر التي ساهمت في ظهور فئة من المثقفين والمصلحين الذين سعو لإخراج مجتمعهم من البدع والانحرافات والانحراف بكل مظاهره والوقوف في وجه السياسة الاستعمارية المتكررة لمحو الهوية الوطنية وطمس معالم العقيدة الاسلامية وفرض اللغة الفرنسية والتجنيد لإجباري كذا نشر وتشجيع البدع والخرافات حيث قامت بغلق المدارس وحرمت التلاميذ من التعليم[2]

ومن أهم السياسات التي اتبعتها فرنسا لطمس الهوية الجزائرية وتحقق الإدماج الثقافي سياسة الفرنسة التي يقصد بها نشر الثقافة الفرنسية وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية[3] من أجل قطع صلة المجتمع الجزائري بتاريخه وثقافته و سياسة التنصير وهيا محاولة إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الاسلامية في الجزائر وسياسة الإدماج التي سعت من خلالها إدماج الشعب الجزائري بفرنسا و سلخ شخصية وسلب مقوماته من لغة ودين وجنس إذا الجانب الثقافي ساهم في صقل وتكون ابن الخوجة[4].

---

[1] مراد قبال،المرجع السابق،ص 131.

[2] أحمد وادي،السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر، مجلة الناقد للدراسات السياسية،ع 2،جامعة محمد خيضر بسكرة(الجزائر)،أفريل2018 ، ص ص298 ،299 .

[3] المرجع نفسه، ص 300.

[4] نفسه، ص ص301-302.

عاصر ابن الخوجة ظهور الطباعة، وأدرك دورها في تعزيز النهضة الفكرية الجزائر وعلى رأسها مطبعة فونتانة ومطبعة العالمية التي أسسها الأخوان رودرسي استغل ابن الخوجة هذه المطابع لنشر كتبه ومؤلفاته،مما ساهم كثيرا في إبراز الهوية العلمية و التفافية الجزائرية وتعزيز الروح الوطنية لدى الجزائريين المتعلمين و قد مهدت جهوده تدريجيا لظهور حراك ثقافي نشط في المدن والمراكز الحضارية تجلى في إنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية، التي عملت على نشر الفكر الإصلاحي مثل الجمعية الرشدية و التوفيقية في الجزائر[1].

- **العوامل الخارجية :**

تمثلت خاصة في نشاط حركة الجامعة الاسلامية التي قادها رواد الإصلاح لإصلاح المجتمع والتعليم و انعكست هذه الأفكار بوضوح في مشروع ابن الخوجة الإصلاحي، حيث تبنى هذا الأخير إصلاح العقيدة الاسلامية وتنقيتها من الشوائب التي علقت بها عبر العصور[2]

ولعل من أبرز العوامل الزيارة التي قام بها الامام محمد عبده للجزائر صيف 1903 وقد تركت هذه الزيارة تأثيرا عميقا على نخبة من العلماء الجزائريين على غرار عمر راسم[3]و عمر بن قدور [4]وكذا الشيخ عبد الحليم بن سماية،وكان ابن الخوجة أبرز المتأثرين بفكره أيما تأثر وتشير الدراسات التاريخية أن تأثير محمد عبده امتدا إلى تبني ابن الخوجة لنهجه

[1]بن يوسف فاطمة، المرجع السابق ص262.

[2]جمال قنان،نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الاسلامية في القرن التاسع عشر، مجلة المصادر، ع11،جامعة الجزائر، ص 18.

[3] ارتبطا عمر راسم(1954/1884)في تاريخ النهضة الجزائرية الحديثة بمجالات متعددة فقد مرت به جولته الرائدة في إنشاء صحافة وطنية ملتزمة،ومميزة بأفكاره الإصلاحية للمزيد ينظر: محمد ناصر عمر راسم المصلح الثائر، منشورات دار الثقافة والسياحية، الجزائر، 1984، ص05.

[4] أحد رموز الصحافة العربية الجزائرية ورائدها كما كان رائد من رواد إصلاح بالجزائر رغم طرق الاحتلال الفرنسي وجرائمه لمزيد ينظر: كمال خليل، الفكر الاصلاحية عند عمر بن قدور (1932/1886)،مجلة البحوث التاريخية،ج1،ع2 جامعة المسيلة(الجزائر) 2017، ص230.

والسير على خطاه حيث ارتبط بفكره ارتباطا وثيقا خاصة عبر مجلة المنار وهذا ما تجلى في ملازمته له طوال إقامة في العاصمة، وهو ما أشار إليه محمد رشيد رضا [1] في كتابه تاريخ الأستاذ الامام في سياق حديثة عن رحلة الشيخ إلى الجزائر قائلا "وقد نال مراده فاجتمع بخيار العلماء والعقلاء الذين يقدرون الإصلاح قدره، ومن خيارهم في الجزائر الشيخ محمد ابن الخوجة صاحب المصنفات والشيخ عبد الحليم بن سماية"[2].

وجد الشيخ محمد ابن الخوجة في مؤلفات الامام محمد عبده ومجلة المنار وسيلة مهمة لنشر فكره الإصلاحي، وكان حريصا على قراءة المقالات الإصلاحية لرشيد رضا وغيره في المنار كما كان يعيد تفسير سورة العصر للشيخ محمد عبده وتسره مجالسته وكان فرحا بكل ما نشره للشيخ محمد عبده[3].

وبذلك يمكن القول إن جميع هذه العوامل أسهمت في صقل و تكوين شخصيته فقد أستمد قوته الفكرية من التحولات الكبرى التي عرفتها الجزائر مطلع القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين مستلهما أفكار النهضة المشرقية و حركة الجامعة الإسلامية فضلا عن تأثره بالصحف المصرية كمجلة المنار و غيرها و عليه فإن بروز هذه الشخصية لم يكن وليد صدفة بل كان نتيجة تفاعل بين دعائم محلية و مؤثرات خارجية.

[1] ولد عام1865 في بلدة القلمون طرابلس، ويعتبر محمد رشيد رضا من رواد الإصلاح الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر هجري بالإضافة إلى كونه صحفيا وثائقيا وهو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده للمزيد ينظر : محمد رشيد رضا، تفسير سورة يوسف عليه السلام، دار النشر للجامعات مصر، 2007، ص ص5-6.

[2] عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق،ص421

[3] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص129

الفصل الثاني

وسائل وآليات الإصلاح عند ابن الخوجة

- أولا: شيوخه
- ثانيا: الكتابة الصحفية.
- ثالثا: التعليم المسجدي.
- رابعا: مؤلفاته العلمية.

أولا: شيوخه

تتلمذ ابن الخوجة على يد ثلة من العلماء والمشايخ كان لهم واسع الفضل في تكوينه العلمي والديني،حيث أخذ عنهم علوم القرآن والفقه وكل الدراسات اللغوية والإسلامية حيث كانوا بمثابة النور الذي أضاء دربه وتشكيل رؤيته الاصلاحية ومن بينهم نذكر:

1. علي ابن الحفاف:

هو علي عبد الرحمان ابن محمد المعروف بابن الحفاف ولد مطلع القرن العشرين بالجزائر العاصمة ينتمي إلى عائلة معتبرة لعلمها حيث كان أعمامه من أهل العلم والفتوى في الجزائر[1]، درس على يد ثلة من العلماء كالشيخ إبراهيم الرياحي التونسي[2] كما أخذ العلوم على يد بقايا الشيوخ في عهد الامير عبد القادر[3] تولى الإفتاء بالبليدة سنة 1859 كما تولى الفتوى المالكية والتدريس في الجامع الكبير بالعاصمة[4].

يعد ابن الحفاف من الشيوخ الذين كان لهم فضل كبير في الحياة العلمية للشيخ مصطفى ابن الخوجة حيث أخذ عنه الدروس في صحيح البخاري لمدة أربعة سنوات،من آثاره المتعال في تكميل الاستدلال في القراءات السبع، والدقائق المفصلة في تحديد آية البسملة.

---

[1] عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق، ص231.

[2] هو الشيخ إبراهيم بن عبد القادر ابن أحمد الرياحي، اشتغل بتحفيظ القرآن، رحل إلى تونس العاصمة لطلبة العلم تتلمذ على يد نخبة من علماء عصره، فأجازه شيوخه وانتهى للتدريس بالجامع الأعظم، للمزيد ينظر: محمد البعلاوي حمادي الساحلي، ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي (1757/ 1850)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (دس)، ص ص5،6 .

[3] هو عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري ولد عام 1808 وتوفي بدمشق عام 1883 قائد سياسي وعسكري ومجاهد، عرف بمحاربته للاحتلال الفرنسي للجزائر، قاد مقاومة شعبية خمسة عشرة عاما في بدايات غزو فرنسا للجزائر، للمزيد ينظر: برونو إتين، عبد القادر الجزائري، تر، ميشال خوري، دار عطية للنشر، بيروت، 1997، ص ص15-18.

[4]أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 / 1954) ، ج 3 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1998، ص82.

كان من الذين نادوا بالهجرة إلى المشرق بعد الاحتلال الفرنسي، حيث أثار موضوع الهجرة سنة 1878 بعدما أثارها صهره قدور بن [1]رويلة والشيخ مصطفى الكبابطي[2] سنة 1844, ويرجع سبب دعوته إلى الهجرة هو الاضطهاد الذي عانى منه الجزائريون بسبب السياسة الاستعمارية الفرنسية ورغم نصيحة العلماء له بالبقاء وأن بقاءه أنفع للأمة ويؤدي إلى نشر العلوم والعقائد إلا أنه بقي مصمم على الهجرة، وفي الأخير نجح الرحالة محمد بيرم الخامس التونسي الذي جاب آفاق العلم الإسلامي والأوروبي في إقناعه بالعدول عن الهجرة، حيث وصفه بأوصاف العلماء الأسرى فعلا فهو يمتاز بالخبرة والسكينة والتقوى والتفقه والسعة في الحديث[3].

2. علي ابن الحاج موسى:

علامة الجزائر المتضلع ومسندها المطلع شيخ الجماعة وعمدة المحققين الشيخ علي ابن أحمد بن الحاج موسى بن عبد العزيز بن أحمد زروق بن الحسين بن الشيخ محمد بن عبد الله محمد الكبير، ولد بالجزائر العاصمة سنة 1828 ونشأ وتعلم بها[4] أخذ العلم على يد طائفة من العلماء .

منهم والده الشيخ أحمد بن الحاج موسى والشيخ محمد بن هني بن معروف دفين تونس وغيرهم.[5]

---

[1]ولد قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830 ونشأ بالعاصمة وكان متشبعا بالثقافة الإسلامية من خلال المساجد والزوايا، كان مجاهدا وشاعرا وكاتبا. للمزيد ينظر: عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق، ص ص295، 296.

[2]ولد في مدينة الجزائر، أواخر القرن الثامن عشر، نشأ وتعلم بها، قاض ومفتي المالكية تولى التدريس بالجامع الكبير وكان يجمع بين تدريس العلوم العقلية من نحو ومنطق، للمزيد ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص273.

[3]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج3، المرجع السابق،ص ص82-83.

[4]عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص312.

[5]محمد نواسة، المرجع السابق، ص16.

يعد ابن الحاج موسى من الأوائل الذين نادوا بضرورة الإصلاح الديني ومحاربة الصوفية، ومن الذين بذلوا قصارى جهدهم في تنوير العقول والحث على العلم والتعليم، حيث كانت له العديد من المؤلفات منها: ربح التجارة في أدب الزيارة ومعالي البشائر في ذكر بعض أسماء العلماء الأكابر[1] تخرج على يده مجموعة من التلاميذ الذين كان لهم دور كبير في إحداث انبعاث ثقافي كالشيخ عبد الحليم بن سماية، والعلامة محمد بن مصطفى ابن الخوجة الذي درس على يده سلم الأخذري[2].

وهكذا عاش الشيخ علي ابن الحاج موسى يجول ويتقلب في عالم المعرفة إلى أن وافته المنية رحمه الله في مارس 1909م ودفن في مقبرة الحامة في الجزائر العاصمة.[3]

3. السعيد بن زكري:

هو الشيخ محمد بن سعيد بن زكري الزواوي[4] ولد سنة 1851 بمنطقة زواوة، وبعد أن حفظ القرآن الكريم لحق بأخيه الكبير بزاوية سيدي عبد الرحمان لإكمال دراسته وصل العاصمة سنة 1896م عين مدرسا بالجامع الكبير[5]، كان فريد دهره وحيد زمانه حافظا للحديث إماما في علم الفقه والتوحيد على مذهب الإمام مالك تولى الإفتاء المالكي سنة 1908م وقد تركت جهوده الطويلة في حقل التربية والتعليم آثارا طيبة في نفوس الذين أخذو عنه العلم[6] حيث اهتم بالجانب الديني و بين العيوب التي ينبغي تجنبها في الجانب التعليمي

[1]عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ،ج2, دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص276.

[2]عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ، ص ص317-318.

[3]عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق ، ص230.

[4]عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، «الجزائر المدية مليانة» بمناسبة عيدها الألفي، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007، ص232.

[5]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ص97.

[6]عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص70.

من مؤلفاته رسالة أوضح الدلائل أشهر تلامذته الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة، توفي رحمه الله سنة 1914م[1].

كل هؤلاء الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم كان لهم دور محوري في بلورة فكره وتشكيل رؤيته الاصلاحية مما أكسبه روح التمحيص والاجتهاد كما استطاع أن ينهل من أفكار رواد النهضة المشرقية مما انعكس بالإيجاب على حياته وعلى شخصيته.

ثانيا: الكتابة الصحفية:

بزغت شمس الصحافة في البلاد العربية أواخر القرن الثامن عشر بمدينة القاهرة وكان ذلك على يد الحملة الفرنسية على مصر[2]بقيادة الجنرال بونابرت،[3] حيث احضرت البعثة العلمية التي رافقت الحملة البونابرتية معها طابعة من باريس وبقيت اللغة العربية محرومة من فوائد الصحافة إلا بعد 27 سنة عرفت عصرا جديدا، عندما قام محمد علي باشا الذي قام بإنشاء الوقائع المصرية[4] لحكومته[5].

أما الجزائر فقد عرفت الصحافة في زمن الاحتلال الفرنسي بعد 1830، وعندما بدأت تنتشر في الأوساط الإسلامية الجزائرية كان الجزائريون هم الذين يحركونها وكانوا يقنعون الشعب بأن أحسن وسيلة يستعملونها للدفاع عن أنفسهم هي الصحافة وطالبو بإنشاء صحيفة عربية لكن الظروف حالت دون ذلك[6]، فلجأ البعض منهم إلى العمل في مجال الإعلام من

---

[1]عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، المرجع السابق، ص232.

[2]فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2023, ص72.

[3]بونابرت عسكري عبقري وإمبراطور فرنسي ولد في جزيرة كورسيكا الايطالية، درس في فرنسا، أصبح ضابطا في المدفعية وتمكن عام 1783 من حماية مدينة طولون بنجاح أثناء الثورة الفرنسية، للمزيد ينظر :عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،(دس) ص538.

[4]الوقائع أنشأت في 20 تشرين الثاني 1828 بعناية الدكتور كلوت بك، التي جعلها لسان حال الحكومة الخديوية ولا تزال حية لحد الآن للمزيد ينظر: فيليب دي طرازي، المرجع السابق، ص ص78، 79.

[5] نفسه، ص73.

6كرليل عبد القادر، نشأة الصحافة في الجزائر، المصادر، ع11، جامعة الجزائر ، ص217.

خلال الصحافة الفرنسية كجريدة المبشر التي أصدرتها الحكومة الفرنسية سنة 1847 وجعلتها اللسان الرسمي للولاية العامة تطبع باللغتين العربية و الفرنسية ويشرف على تحريرها مدير مصالح الشؤون الإسلامية بالجزائر، وكان محمود كحول من أبرز محرريها و محررها الأول الشيخ أحمد البدوي إلى سنة 1886م حيث خلفه السيد علي بن عمر، ثم بن سماية ثم الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة[1] الذي دخل عالم الصحافة سنة 1886م وعمره 21 ربيعا واشتغل في المبشر كمحرر في طبعتها .

هكذا انطلق يشتغل صحفيا في هذه الجريدة قرابة التسع سنوات إلى غاية عام 1895م وفي هذه السنة عين مدرسا في جامع السفير[2]، وتعد جريدة المبشر أول صحيفة عربية تصدر في المغرب العربي والثانية في العالم العربي غير أنها كانت تحت تصرف الإدارة الفرنسية، هدفها التأثير على الجزائريين وإبعادهم عن الثورات وحثهم على الولاء لفرنسا وتمجيد قوتها[3].

وكان ابن الخوجة غزير الكتابة في الجريدة خاصة في السنوات الأولى من التحاقه كمحرر وكانت مقالاته إما فردية أو ثنائية يتشارك فيها الكتابة مع الحفناوي وكان الإمضاء باسم محمد بن مصطفى و تميزت مقالاته بالطول إذ كانت تنشر في عدة أعداد، وبلغ عددها ثلاثة وخمسون مقالا جلها في السنوات الأولى وإن توقفه عن الكتابة لا يعني توقفه عن العمل في الجريدة بل توقف كمحرر فيها[4].

---

[1] مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تح: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص34.

[2] الزبير سيف الإسلام، رواد الصحافة الجزائرية، مطابع دار الشعب، القاهرة،1981،ص175.

[3] بن يوسف فاطمة، المرجع السابق، ص265.

[4] الزبير سيف الإسلام، المرجع السابق، ص176.

وقبل ملازمته لجريدة المبشر كان على اطلاع كبير بالعروة الوثقى[1] كونها كانت تحوي مقالات الامام محمد عبده، فكان يقرأ كتبه وينشرها بين المثقفين ويلتهم مقالاته في العروة الوثقى ويبثها في الناس[2].

وكان مغرما بمجلة المنار[3] لأنها تعبر عن نفسه وتدعو لما يدعو إليه، فوجد الشيخ محمد بن مصطفى في مؤلفات محمد عبده ومجلة المنار أكبر وسيلة للإصلاح الذي ينشده[4]

ورغم مساوئ وعيوب جريدة المبشر كونها جريدة رسمية للدعاية الفرنسية إلا أنها كانت المدرسة الصحفية التي تخرج منها العديد من الطلبة الجزائريين وتعلموا فيها فن الصحافة وتعرفوا على مراحل الطبع والنشر.

رأى ابن الخوجة من خلال عمله في المبشر أكبر وسيلة للاتصال بالمسلمين واستطاع أن يقر في نفوس الجزائريين معانيه بمقالاته من حيث لا يشعر الاستعمار، كما خفف وجوده فيها وقلل سمومها هذا ما يعكس وطنيته وامتلاكه روح إصلاحية قوية.[5]

وقد تأثر تأثرا كبيرا بالحركات الاصلاحية في المشرق هذا لكثرة اتصالاته واهتمامه بما كان يجري فيه.[6]

---

[1] العروة الوثقى أنشأت في نهاية القرن 19، في باريس كان لها أثر كبير في العالم الإسلامي، وأحدثت في النفوس ثورة لم تحدثها صحيفة من قبلها مؤسسها جمال الدين الأفغاني و محمد عبده للمزيد ينظر، أحمد صاري، العروة الوثقى، صوت إسلامي في باريس، مجلة العلوم الاجتماعية والسياسية، ع5، جامعة باتنة(الجزائر)، 1996، ص ص51، 52

[2] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص128.

[3] أسسها محمد رشيد رضا وكانت تدعو للإصلاح الديني، وكانت تصدر بصفة أسبوعية، للمزيد ينظر:أحمد سعودي، مجلة المنار القاهرية لمحمد رشيد رضا في بلاد المغرب العربي، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، ع13، جامعة الجلفة (الجزائر)، سبتمبر 2015، ص ص132، 133.

[4] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص128، 129.

[5] عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق، ص423.

6الزبير سيف الإسلام، المرجع السابق، ص176.

وقد استلهم ذلك من خلال جرائد العالم العربي التي كانت أعمدتها مملوءة بالحيوية والأفكار الاصلاحية وخاصة منها جريدة المؤيد التي بدأت في الصدور عام 1889، وصحيفة مصباح الشرق المجلة المصرية التي ساهمت بشكل كبير في تطوير الأدب المصري والنهضة المصرية[1] .

وقد اقتدى بزميله ومعاصره الشيخ حمزة فتح الله الذي كان محرر بالجريدة الرسمية التونسية الرائد التونسي منذ عام 1876م كما تأثر بكتاب فتح الله وهو باكورة الكلام على حقوق النساء في العالم، نتج عن هذا أنه كتب رسالة عالج فيها الانحلال الذي وقع في المجتمع الجزائري عامة والعربي خاصة.

ومن بين المواضيع التي تطرق لها ابن الخوجة أثناء عمله في المبشر من 1885م إلى1895م الاقتصاد، الاجتماع، التاريخ والفلاحة[2].

ولم يكتب في المواضيع السياسية وكان هذا التوجه في الفترة التي سبقت اتصاله وتأثره بالشيخ محمد عبده الذي كان يرى أن السياسة ما إن دخلت أمرا إلا أفسدته، لهذا نجد كتاباته في المبشر لم تخرج عن بعض القضايا الاقتصادية تمثلت خاصة في الفلاحة وتربية المواشي[3].

حيث كان أول مقال كتبه في مجال الفلاحة كان بعنوان الغنم بالمواطن الجزائرية نشر في خمسة أعداد بين 1895/01/15 و 1896/09/04، تحدث فيه عن الغنم المتواجدة في الأراضي الجزائرية التي تتوفر على مساحات شاسعة وغير مستغلة في الزراعة وهي ملائمة لتربية الغنم كما تحدث عن مميزاتها وأماكن تواجدها ومنافعها، ويفصل ابن الخوجة في أنواع

[1] الزبير سيف الإسلام، المرجع السابق، ص177.

[2] نفسه، ص179.

[3] بن يوسف فاطمة، المرجع السابق، ص266.

الغنم المتواجدة بالجزائر فذكر ثلاثة أنواع وهي الغنم الجزائري المحض والبربري والثالث التوارقي الشبيه بالعنزة لعلو قوامه[1].

كتب أيضا العديد من المقالات عن النباتات وكيفية غرس الأشجار، أما في مجال الدراسات والأبحاث كتب عن الأراضي التونسية و خصوبتها في الزمان الغابر وكيف كانت مغطاة بالأشجار فاندثرت مع الأيام بإهمال أصحابها لها عن عدم المعرفة بالحفاظ عليها[2]

في مجال التاريخ كتب ابن الخوجة سلسلة من المقالات حيث اهتم بتاريخ المدن في المغرب العربي وإفريقيا، منها مدينة طرابلس وكأنه واحد من أبنائها فجاءت أول مقالاته عن حاضرة طرابلس تحت عنوان الطرابلسية حيث يقول عن برقة أنها كانت مدينة عظمى متبحرة العمران ذات بهاء باهر، ثم استرسل الحديث عن مناخها ونباتها وحيواناتها وعمرانها، [3]وبانتهائه الحديث عن برقة انتقل بالحديث عن مدينة بنغازي التي تأسف كثيرا عن اندثار معالمها وآثارها حيث يقول « ولها أيضا مباني للعبادة تلوح بأفقها أنوار السعادة وذلك كالبيع والصلوات والجوامع و المنارات والمنابر والصوامع إلا أنها لم يبق لها شيء من المآثر القديمة كي ترشد ما ندثر من محاسنها في الجملة....الخ.[4]

كما كتب في أحد أعمدة المبشر في عددها رقم 2830 عن موضوع الجراد في مدينة سور الغزلان فقال أنها تعرضت إلى غزو كبير من طرف الجراد وكان ذلك في 27 فيفري إلى غاية 8 مارس 1887[5].

---

[1] نفسه، ص266.

[2] الزبير سيف الإسلام ، المرجع السابق، ص ص180، 181.

[3] ابن يوسف فاطمة، المرجع السابق، ص 270.

[4] الزبير سيف الإسلام، المرجع السابق، ص179.

[5] نفسه، ص180.

بهذا يمكن القول أن ابن الخوجة استطاع من خلال وسيلة العمل الصحفي أن يوصل صوته للشعب الجزائري وذلك من خلال المقالات التي كتبها في المبشر التي من شأنها أن ترفع معنويات الفرد الجزائري.

ثالثا: التعليم المسجدي :

من بين مرتكزات الإصلاح أيضا التي اعتمد عليها ابن الخوجة لإيصال فكرة وتدعيم قضاياه الاصلاحية التعليم المسجدي، فهل استطاع تبليغ رسالته من خلاله؟

إن الدور الذي تقوم به المساجد في العالم الإسلامي تتعدى حدود القيام بالعبادات في الإسلام إلى نشر التعليم الشامل لتعاليم الدين الإسلامي للجميع سواء صبيانا أو رجالا أو نساء لكي يتعلموا ما يلزمهم في العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر الفرائض الإسلامية، فاتبع المسلمون كافة الطرق في الوصول إلى نشر دعوتهم سواء في بيوتهم أو المساجد[1] .

كان التعليم مزدهرا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وذلك بدليل ما كتبه الجنرال الفرنسي فاليري سنة 1834 قائلا:« كل العرب الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة والكتابة، حيث كان هناك مدرستان في كل قرية». أما الأستاذ إيميري الذي درس طويلا الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر، فقد أشار إلى أنه كان في قسنطينة لوحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون مسجدا تستعمل كمراكز تعليم كما كان هناك مدارس ثانوية[2].

[1]عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص127.

[2]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص60.

كان التعليم يعطى في المساجد باعتبارها أمكنة للعبادة وإلى جانب اعتبارها مراكز للتربية والتعليم كذلك في الزوايا التي كانت تحت رحمة الجمعيات الدينية، لكن هاته الأخيرة استولى عليها الفرنسيين وهكذا جرد التعليم الجزائري من أهم موارده[1].

كانت المساجد في عهد العلماء المصلحين مدارس لمحاربة الأمية وبعث فكرة الإصلاح وبعث اليقظة في النفوس وتوجيه المسلمين فكان المسجد قد ارتبط بالتعليم ارتباطا وثيقا في هذا الصدد يقول ابن باديس« المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة فكما لا مسجد بدون صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة فلا إسلام بدون تعليم"[2].

ولقد لعبت المساجد دورا محوريا في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري وساهمت بشكل كبير في نشر تعاليم الدين الإسلامي.

بالإضافة إلى الشعائر الدينية التي كان المسجد يضطلع بها أيضا اعتبر بمثابة الوعاء الجامع للعب كافة الأدوار، فبالمسجد تجمع الزكاة وتؤدى الصلوات وبه يمسك و يفطر الصائم، وأيضا به تقدم جميع النصائح والإرشادات لمفهوم الحج وأركانه وفضائله، وأيضا وصف بأنه بيت الله وملجأ المسلمين جميعا كالزهاد وطلاب العلم والمسافرين.[3]

من هذا المنطق راح المصلحون يهتمون بالتعليم المسجدي ومن بين هؤلاء المصلحين الذين حملوا على عاتقهم مهمة ترقية المستوى الفكري والثقافي لأبناء الأمة الجزائرية في ظل وجود السياسة الاستعمارية نجد الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة الذي جعل من التعليم المسجدي وسيلة لإيصال أفكاره الإصلاحية للشعب الجزائري عمل حزابا بالجامع الأعظم ثم

[1] نفسه، ص61.

[2] عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص128.

[3] سعاد فويال، الساجد الأثرية بمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص8.

تولى ابن الخوجة منصب التدريس بجامع السفير سنة 1895[1]، وتولى الإمامة والخطابة بنفس الجامع سنة 1913م فكان يدرس للعامة الفقه والتوحيد[2].

و بعض التفسير مما تسمح به السلطات الفرنسية و كان يدرس خمس ساعات يوميا إلا أنه قد أصيب بمرض خطير أعاقه عن التدريس فترة طويلة، بعدها استأنف دروس النحو وقواعد اللغة العربية فكان التلاميذ الذين يحضرون دروسه عمال المسجد وتلاميذ السنة الخامسة من مدرسة الجزائر، وبعض الخواص من سكان مدينة الجزائر ، وصفه ويليام مارسي مدير مدرسة الجزائر الذي فتش دروس محمد مصطفى ابن الخوجة في المسجد، وأشاد به إذ قال عنه أفضل من يعرف العربية ويتكلم بها بطلاقة واعتبره من أفضل الدعاة لنشر التحرر الفكري بين المسلمين[3].

وفي تقرير 1907/1906 وصفه المفتش الفرنسي بأنه صاحب ذاكرة عجيبة وأنه نابغة وخطيب وهو يعرض قدراته على الإفصاح، و أنه يدعو التلاميذ إلى حرية الفكر في موضوع العقيدة، وأضاف المفتش أن ابن الخوجة كان يفيد التلاميذ كثيرا وله القدرة في التأثير على مستمعيه وأضاف أنه مؤهل كونه مؤلفا ورجل دين[4] .

وفي سنة 1913 عين وكيلا على ضريح عبد الرحمان الثعالبي وكانت له مواقف مع الاستعمار الفرنسي [5]،وفي محاربة البدع والخرافات كما درس في أحد الجوامع بحي بلكور بالعاصمة وكانت دروسه نادرا على البدع والجمود والإلحاد حيث كان أول من درس وخطب على المنابر ضد البدع والخرافات والمرابطية والطرقية الضالة، يقول عنه الشيخ عمر راسم

[1]يوجد في القسم الأعلى من القصبة، تم بناؤه سنة 940هـ ، يتميز بانسجام أقسامه، به حجرة الصلاة مربعة الشكل، ومنارة موجودة في الزاوية الجنوبية المجاورة لحائط القبلة للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص ص57-60.

[2]عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق، ص422.

[3]عبد المجيد نعيمة، المرجع السابق ، ص422.

[4]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ،لمرجع السابق، ص ص86،87.

[5]عادل نويهض، المرجع السابق، ص138.

"أنه شاعر الجزائر و أفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر كثير الاطلاع ولوع بالكتب العصرية شغوف بمحبة الشيخ محمد عبدة و هو الذي ادخل مذهبه إلى الجزائر ."[1].

رابعا: مؤلفاته العلمية

بالرغم من اشتغال ابن الخوجة في العديد من المناصب الإدارية وكذا التدريس إلا أن ذلك لم يمنعه من الإنتاج العلمي حيث استلهم روح الإصلاح من المؤلفات الاصلاحية الحديثة، وقد رأى في هذا التوجه وسيلة فعالة لمحاربة البدع والخرافات وتجلى هذا التأثر في مؤلفاته فخلف العديد من المؤلفات التي نالت قضايا متنوعة منها:

1. الاكتراث بحقوق الإناث:

ألفه سنة 1895 وطبع في نفس السنة بالجزائر[2] تحدث فيه الكمال عن حالة المرأة المسلمة وعن حقوقها وواجباتها والآداب التي يجب مراعاتها على المسلمين وعلى من يرغب في معرفة ما عليه الأمة العربية من الأحوال المعنوية كما انتصر المؤلف لمبدأ تعدد الزوجات وما يجب على الزوجين نحو بعضهما[3].

والظاهر أن الفرنسيون قد بادروا إلى ترجمته إلى الفرنسية والتنويه به وكذا إرساله للقنصليات لترويجه وتعليق الصحف عليه وعلى مؤلفه، والذي تولى ترجمته هو السيد آرنو الذي ظل ربع قرن في المبشر رئيسا لتحريرها واعتبرت الجرائد الفرنسية أن المؤلف غير متعصب دينيا لأنه ذكر أن العلم واجب على الرجل والمرأة[4].

---

[1] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص132,131.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص321.

[3] عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق ،ص427.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،(1954/1830)، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 184، 185.

تطرق الكمال إلى العديد من المسائل التي لها صلة بموضوع المرأة كبيان فضل النكاح وأحكامه وتعدد الزوجات والحكمة من تشريعه وأحكام الطلاق والخلع[1]، وما يجب على الزوج اتجاه زوجته من حسن المعاملة والعشرة خصص جزء من هذا الكتاب تناول فيه المقاصد الزوجية، وكتب أيضا عن بعض الأعراف الخارجة عن الشرع حيث ركز على مسألة الخلاف بين الزوجين معتمدا على آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

أما في خاتمة الكتاب تحدث عن فضل العلم، ودعا إلى تعليم المرأة وفي الصفحات الأخيرة من الكتاب ذكر فهارس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والمصادر[2].

2. إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني عن الإسلام:

ألف سنة 1901 وطبع في السنة الموالية بالجزائر[3] وقد جاء هذا التأليف في وقت كثر فيه التهجم على الإسلام والمسلمين، واتهام الإسلام بأنه مسؤول عن تخلف المسلمين وتعصبهم وأنه السبب في إعاقتهم عن التقدم الحضاري وغير ذلك من التهم الباطلة، فسار ابن الخوجة على منوال محمد عبده في الدعوة إلى التسامح فيما لا تتعارض مع الدين مدافعا عن الإسلام بحجة وحماس كما ملأ كتابه بالشواهد كون الإسلام دين يسر لا عسر.

ولما صدرت هذه الرسالة تلقاها الكتاب بالتقريظ والنقد، ومنهم العلامة محمد رشيد رضا فكتب في مجلته المنار إذ يقول بعد التعريف بمؤلفها: وإن صاحب هذه الرسالة جاء بمسائل نافعة أثبتت أن دين الإسلام يأمر بمعاملة المخالفين في الدين بالعدل ويحرم إيذائهم والاعتداء عليهم وأنه شرع ما يقتضي التآلف مع أهل الكتاب كحل مواكلتهم وتزوج المسلم منهم وغير ذلك من الفوائد.

---

[1] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، تح: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، 2006، ص10.

[2] نفسه ، ص ص53- 143.

[3] محمد نواسة،المرجع السابق،ص 20.

كما رد عليه بنبرة شديدة اللهجة، قائلا: فينبغي لهذا الشيخ المدرس وأمثاله إذ كلفوا بالكتابة في هذا المقام أن يقفوا عند حد معلوم[1].

كما ترجم هذا الكتاب حال صدوره إلى الفرنسية بمفهوم التسامح الديني في الإسلام ونشر مسلسلا في مجلة الإسلام الفرنسية، ثم وزع على العالم الإسلامي من طرف القنصليات الفرنسية بغرض الدعاية،أما الشيخ عبد القادر المجاوي فقد أثنى على هاته الوريقات فقال: « أما بعد فإني أجلت بفكري في هاته الرسالة الرصيفة بل الذرة اليتيمة المنيفة والمسماة إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، وجدتها وإن كانت قليلة الألفاظ بحرا في المعاني متلاطم الأمواج وكعبة مشرفة يجب أن يطوف الأذكياء حولها أفواجا بعد أفواج وكيف لا و مؤلفها العلامة الذي تقدمت براعته والمحقق الذي رأفت لطاقته سمير الكتاب والسنة المهجورة السيد محمد ابن مصطفى ابن الخوجة[2].

3. تنوير الأذهان في الحث على التحرر وحفظ الأديان:

طبع بالجزائر عام 1902م، ألفه الكمال حينما رأى مساعي الإدارة الفرنسية بشأن الاعتناء بصيانة وصحة الأبدان وأخذ حذرها من جميع الأمراض والمخاطر فأنشأت بذلك مستشفيين أحدهما في بلاد القبائل والآخر في جبال الأوراس، فارتأى أن يكتب رسالة يقدم فيها الأدلة من الكتاب والحديث وأقوال العلماء والفقهاء أن ما فعلته الإدارة الفرنسية لا يتعارض مع ديننا الحنيف خلافا لما يراه البعض أن ذلك مناف لشرع الإسلام زاعمين أن ترك المعالجة والتحرر من التوكل على الله، وأن التطبيب بغير الإسلام محظور، رتبها على أربعة أبواب الأول في حكم التداوي و الثاني في ذكر بعض ما يجوز للطبيب لا لغيره، الباب الثالث في حكم العقاقير والأدوية، الباب الرابع في جواز التحصن من الوباء[3].

4. مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة:

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص321.

[2] علي تابليت، المرجع السابق، ص90.

[3] نفسه، ص ص،91 ،99.

وأهم ما يستدعي الانتباه أنه عمل على نشر مخطوط يدعو فيه صاحبه الى الاجتهاد في كل عصر فرض للشيخ السيوطي، وهذا يتم عن نزعته الاجتهادية ومعارضته للتقليد الأعمى ومما يؤكد هذا الاتجاه لديه أنه كتب كتاب مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة، أورده من قوله لا ينكر تغيير الأحكام بتغيير الأيام ويدعو في هذه المقدمة الى الاستفادة من تجارب الآخرين[1].

يعتبر هذا الكتاب عبارة عن وعاء يحوي مجموع من القوانين الصادرة عن الحكومة الفرنسية والتي يجري عليها نظام الحكم الفرنسي بالجزائر مدنيا أو عسكريا [2]حيث كلف ابن الخوجة بإنجار هذا العمل، تحت إشراف الحكومة العامة بالجزائر بمناسبة زيارة الوفد المغربي لأن السيد محمد الحباص هو الذي طلب من الحاكم العام الإطلاع على القوانين الجاري العمل بها في الجزائر وقد عرج الشيخ على تهذيب هاته الترجمة ووضع لها مقدمة وخاتمة، وقسمه إلى قسمين مدني وعسكري وطبع الكتاب سنة 1902م بفونتانة بالجزائر[3].

5. عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر:

ألفه الشيخ ابن الخوجة سنة 1902م، وطبع بالجزائر في نفس السنة في مطبعة فونتانة، وهو عبارة عن رسالة صغيرة كتبها برئاسة محمد حباص، يصف فيها ما قوبل به الوفد المغربي من ترحيب رسمي وعلى مستوى نخب من أعيان الجزائر وقد امتدت إقامة الوفد من 22 شعبان إلى 9 شوال 1319هـ/ 1902م[4].

وفي يوم 17 رمضان 1319هـ أرسل رئيسهم هدية لابن الخوجة وهي ساعة ذهبية فكتب ابن الخوجة هذه الرسالة يشكره فيها ،وفي 28 رمضان 1319هـ ذهب إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي قصد حضور ختم العلامة علي ابن الحاج موسى وفي اليوم

[1]عمار طالبي، المرجع السابق، ص36.

[2]عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص322.

[3]عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق ،ص428.

[4]نفسه ،ص428.

الأخير من رحلتهم قام بتوديعهم ابن الخوجة وقال في كتابه هذا أنهم كانوا عنده مثالا للاستقامة والكمال وأنهم كانوا محافظين على شعائر ديانتهم وشعار حكومتهم وملابس وطنهم وهيأتهم وعباداتهم كصيامهم وصلاتهم[1].

6. نبذة وجيزة في معنى الدين والفقه فيه وما يتعلق بذلك ويتصل به.

ألفه سنة 1902 وطبع بالجزائر[2] ، يعد الكتاب بمثابة مقدمة في معنى الدين والفقه، فبين لنا معنى الدين في اللغة كالعبادة والطاعة والجزاء والحساب وفي الشرع، وكذا وضح معنى الإيمان وكذا تطرق إلى مسألة صحة إيمان المقلد مبينا حكمها وكان دافعه من هذا التأليف هو توضيح الصورة الحقيقية لمعنى الدين والعقيدة الإسلامية[3].

7. اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب:

يحتوي الكتاب على 198 صفحة من الحجم المتوسط ألفه الكمال سنة 1907م، وقد سارعت السلطات الاستعمارية بنشره كما فعلت مع كتاب الاكتراث بحقوق الإناث[4].

عرض فيه قواعد وأصول الزينة من لباس وطيب وغير ذلك، وناقش موضوع الزخرفة وأطال في فضل الحجاب وأورد الآراء العديدة في ذلك[5].

---

[1] علي تابليت، المرجع السابق، ص 172- 178.

[2] محمد نواسة، المرجع السابق، ص20.

[3] علي تابليت، المرجع السابق، ص ص135-136.

[4] بن يوسف فاطمة، عبد الباسط قلفاط، المرجع السابق، ص585.

[5] عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق ، ص428.

في هذا الكتاب شن هجوما عنيفا على الذين يزعمون أن اللباس الغربي يتعارض مع النصوص الشرعية وأنه حرام، وأن من يجوز هذا اللباس ويحله مغضوب عليه وملعون لعنا كثيرا [1]مستدلا بقوله تعالى"أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ"[2].

واستهل ابن الخوجة كتابه بمقدمة ذكر فيها أنه وجه إليه سؤالا هو ما حكم الزينة واللباس عند المسلمين؟ وللإجابة على هذا حصر كتابه في أربعة أبواب: الباب الأول تمثل في حكم الزينة حيث تحدث فيه عن حكمها مستدلا بالقرآن الكريم واعتبر أن أهمية الزينة في النظافة والوضوء والسواك والتطيب وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط والأنف وأن من الزينة خضاب الرأس واللحية.

أما الباب الثاني، فتطرق فيه الى حكم اللباس فذكر فيه أحكام اللباس من مندوب ومباح ومكروه وحرام، فقال إن الواجب فهو ما يقي الحر والبرد ويستر العورة، والمندوب فهو الزائد لأخذ الزينة وإظهار نعمة الله تعالى وخصص الباب الثالث في اختلاف هيئة الملابس والتي ترجع إلى تقاليد وأعراف الشعوب والمجتمعات ولو كانت تنتمي لنفس الحضارة وفصل فيه أنواع الملابس.

أما الباب الرابع تحدث فيه عن احتجاب النساء فذكر الزينة وأراد بها مواصفها حيث قال أن الزينة ما تزينت به المرأة من حلي وغيرها فما كان منها ظاهرا كالخاتم والكحل والصبغ فلا بأس بأدائه للأجانب بشرط لا من الشهوة، وماخفي منها كالسوار والوشاح والقرط فلا يحل لها إبداؤه للأجانب حيث فصل في هذا الفصل عن احتجاب النساء[3]، انتهى بالخلاصة التالية أن المرأة التي لها مكانة في المجتمع والتي تتقلد مسؤولية عليها أن تحتجب

[1]عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق ، ص70.

[2]سورة النساء، الآية 59.

[3]محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة، المصدر السابق، ص ص69- 162.

لأن غير المتحجبة لا تلفت نظر الرجل، والشريعة حكمت بأن تظهر المرأة عارية الوجه أمام القاضي لأسباب[1].

ومن مؤلفات ابن الخوجة التي لا تزال مخطوطة :

- فتح العلام في علم الكلام.
- الجوهر المنظوم في شرح مقدمة ابن آجروم.
- بسط الدليل المهم في ذم الجهل ومدح العلم.
- أداء الأمانة في مسألتي النفقة والحضانة[2].
- نسمات الأسحار في نبات الافكار يحتوي على المنظوم والمنثور.
- أما في ميدان تحقيق الكتب فقد حقق كتاب الجواهر الحسان للشيخ عبد الرحمان الثعالبي ،كما أسهم في طبع كتاب الرد على من اخلد الى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض للحافظ السيوطي آخر مآثره[3].

وتتفق أغلب المصادر على أنه نشر في كتيب خاص تفسير محمد عبده سورة العصر[4]، وقد كتب رسالة الى الشيخ محمد عبده بهذا الخصوص جاء فيها وقد اطلعت في المنار الانور على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع، فراقني أسلوبه الفائق العجيب وأخذ مني منزعه العجيب فكله أنتم ولله دركم ما أبعد غوركم الصائب وغوص ذهنكم الثاقب في استنباط دقيق المسائل وتقدير حقائق الفضائل ولشدة شغفي به قرأته على ملأ عظيم من العلماء والطلبة والأعيان عشر مرات في مجالس متفرقة فاستحسنوها. جدا...)[5].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص187.

[2] عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق، ص429.

[3] عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق، ص428.

[4] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص129.

[5] محمد نواسة، المرجع السابق، ص ص19، 20.

ويورد الشيخ محمد علي دبوز في كتابه نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة الجزء الأول انه كان للشيخ ديوان شعري مع مقدمته وانه ألف رسالة جمع فيها تراجم بعض العلماء الجزائريين لكن كل هذا ضاع متمنيا من كل الشباب الغيور المثقف الطموح أن يبحث عن كل ماضاع من أعمال الشيخ ، ويعمل على طبعها وانه يجب على الكتاب والمؤلفين أن يدرسوا مؤلفاته ويبحثوا عن أخباره ويعرفوا الأجيال القادمة به،وانه من العقوق أن يبقى كما يريد الاستعمار منسيا وهو إمام ورائد نهضتنا[1].

وبهذا يمكن القول أن ابن الخوجة بالرغم من تعدد مناصبه إلا أن هذا لم يمنعه من خوض غمار حركة واسعة الأهمية، ألا وهي حركة التأليف وبذلك ترك لنا بعده ذرة نفيسة غيرت مجرى الزمان في العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة، امتدت لعقود.

[1] محمد علي دبوز،المرجع السابق ، ص130.

الفصل الثالث

اهتمامات وقضايا الاصلاح عند ابن الخوجة

- أولا: الدعوة إلى إصلاح حال المرأة
- ثانيا: الاهتمام بالعلم والتعليم
- ثالثا: الدعوة الى الاهتمام بالصحة
- رابعا: الدفاع عن العقيدة الإسلامية
- خامسا: محاربة البدع والخرافات

أولا: الدعوة إلى إصلاح حال المرأة :

لطالما شكلت قضية المرأة محورا هاما ضمن اهتمامات رجال الإصلاح في العصر الحديث، ويرجع سبب هذا الاهتمام إلى الأحكام التي أصدرتها الإدارة الفرنسية على بعض الممارسات المرتبطة بالدين الإسلامي، المرتبطة بتعليم المرأة وتعدد الزوجات والحجاب والطلاق، فظهرت كتابات فرنسية عديدة في هذا المجال منها كتاب يوجين دوماس [1]"المرأة المسلمة"،[2] وكتاب أسس التقدم عند مفكري الإسلام لفهمي جدعان[3]، بعد أن ذكر من تعرض لهذا الموضوع من الكتاب العرب على غرار الطهطاوي[4] وقاسم أمين[5] والتونسي حمزة فتح الله ، فذكر من بينهم مترجمنا العلامة ابن الخوجة الكمال فقال: ومع أن حمزة فتح الله قد خصص عام 1890 م كتاب بحقوق النساء في الإسلام وهو كتاب نقدي تاريخي أدبي فقهي خطابي، إلا أن ما كتبه ابن الخوجة فاق ما كتبه فتح الله وأقرانه من رجال الإصلاح حول

[1]فرنسي من مواليد 1803 جند في الجزائر سنة 1835، كان كاتبا له عدة مؤلفات حول الجزائر توفي سنة 1871، للمزيد ينظر: مصطفى بن واز، المنظور الفرنسي للصحراء الجزائرية دوماس ايجان نمونجا، مجلة عبر للدراسات التاريخية والأثرية، م3،ع1، جامعة ابن خلدون تيارت، (الجزائر)، 2020، ص ص248-249.

[2]أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق ،ص181.

[3]ولد في حيفا فلسطين 1940، حصل على دكتوراه في الآداب من جامعة السوربون، عمل أستاذا للفلسفة والفكر العربي والإسلامي، للمزيد ينظر: فهمي جدعان، الماضي في الحاضر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997، ص3.

[4]ولد في 1801 في مدينة طهطا في صعيد مصر ، تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن ، إضافة إلى الفقع و النحو، التحق بالأزهر وتتلمذ على يد مجموعة من الأساتذة، له العديد من المؤلفات، للمزيد ينظر: سامي محمد نظار، رفاعة رافع الطهطاوي ، رائد التنوير العربي المبكر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014، ص ص9-10.

[5]عاش ما بين (1863/1908) في عصر الأحداث الكبرى والأفكار الكبرى، عاش الاستعمار الغربي المتخلف و بأفكار الحرية للثورة الفرنسية، وعايش أفكار تنوير النهضة العربية، للمزيد ينظر: مصطفى ماضي، قاسم أمين المثقف بقضايا نهضة المرأة، مجلة أسئلة ورؤى، م2، ع4، جامعة الجزائر 2، ص23.

المرأة، ما عكس الصورة النظرية لحدود المرأة وفق ما تقتضيه المدنية العصرية وذلك في مؤلفيه الاكتراث بحقوق الإناث واللباب في أحكام الزينة[1].

ظهر اهتمام ابن الخوجة بقضية المرأة في سياق فكري واجتماعي تميز بجدل واسع حول وضعية المرأة المسلمة، وذلك تزامنا مع صدور كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين، وظهور كتب بعض المستشرقين ككتاب أرنست مرسييه[2] سنة 1895 المرأة المسلمة في شمال أفريقيا وكتاب الحياة المدنية الإسلامية في الجزائر ووضع المرأة طبقا للقرآن والسنة وأعمال المرأة المسلمة لمحمد بن أبي شنب [3]سنة 1907م، على إثر هذا رأى ابن الخوجة ضرورة معالجة المسائل المتعلقة بالمرأة[4].

إذ تناول قضية المرأة بإسهاب وحرص كبيرين فتطرق إلى حقوق المرأة ومكانتها العظيمة في الإسلام وكذا الأسس الشرعية للمعاشرة الزوجية، كما تطرق إلى كافة المواضيع الحساسة ذات الصلة الوطيدة بالمرأة كبيان فضل النكاح وأحكامه وكذا موضوع تعدد الزوجات والحكمة من ذلك وواجب الزوج تجاه زوجته وكذا مسألة تعلم المرأة مستشهدا بذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ونصائح أدباء وأقوال بلغاء.

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص322.

[2] –ولد في مدينة لارونتيل في 17 سبتمبر 1840 وهو طبيب وصيدلي فرنسي، انتقل إلى الجزائر بعد أن استقر والده في منطقة أومال سور الغزلان حاليا، تعلم اللغة العربية تم تعيينه كمترجم قضايا في مدينة قسنطينة تفرغ للتأليف حتى وافته المنية ، له العديد من المؤلفات. للمزيد ينظر: حسين كندري، عبد السلام عكاش ،أنثوغرافيا المجتمع الجزائري من خلال مؤلفات المؤرخ أرنست مرسييه، مجلة روافد، م8، ع2، جامعة عين تموشنت الجزائر ، 2024، ص ص495، 496.

[3] هو محمد بن العربي بن محمد شنب ولد سنة 1869، نشأ في أسرة تعود جذورها إلى بلدة بروسيا التركية، يعد من أبرز علماء الجزائر في القرن العشرين، فهو أول دكتور في تاريخ الجزائر، اهتم باللغات والترجمة، للمزيد ينظر: العربي عمر، محمد بن أبي شنب سيرة ونضال (1869/1929)، مجلة أنثروبولوجية الأديان، م22، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، جوان 2018، ص ص71، 72.

[4] زهير بن علي، قضايا المرأة في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية (1925/1954)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية و الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013، 2014، ص151.

أول ما ابتدئ به كتاب الاكتراث بحقوق الإناث هو موضوع النكاح مصدقا لقوله تعالى:« وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ ."[1]

بين أنه من شروط النكاح الرغبة فلا يجب على الرجل الزواج من امرأة لم تهواها نفسه فإن فعل ذلك فسوف يظلمها ويسيء إليها وهذا ما حرمه ديننا الحنيف وكان هذا كثير الحدوث في القديم قبل مجيء الإسلام حيث كانت النساء اليتيمات تنكحن لا رغبة فيهن وإنما طمعا في أموالهن دون رغبة حقيقية أو معاملة بالمعروف، كذلك فصل ابن الخوجة في موضوع تعدد الزوجات وفقا لشروط أهمها العدل وحذرهم من الجدل فإن لم يستطع الرجل العدل بين زوجاته فليكتفي بواحدة[2] مصداقا لقوله تعالى "فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً"[3].

وأن مذهب الأئمة الأربعة [4]قد حرم على الرجل الزواج بأكثر من أربعة نساء مستدلا بآيات وأحاديث فقد روى عن نوفل بن معاوية أسلمت وتحتي خمس نسوة فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال "فارق واحدة وأمسك أربعة."

وبين الكمال أن الحكمة من تعدد الزوجات تحصين من لم تكفه المرأة الواحدة لغلبة الشهوة عليه وتكثيف النسل وغلب باب الفساد في وجه النساء كذلك محاربة ظاهرة العنوسة وقد شدد على ضرورة تزويج الأيامى[5] مصداقا لقوله تعالى: « وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ »[6]

---

[1]سورة النساء، الآية 3.

[2]محمد بن مصطفى ابن الخوجة الاكتراث بحقوق الإناث المصدر السابق،ص ص 29 ،30.

[3]سورة النساء الآية 3.

[4]يقصد بهم البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

[5]يقصد بها جمع أيم وهي من لا بعل لها بكر كانت أو ثيبا ويجوز إسقاط هذا المصطلح على الرجل للمزيد ينظر :ابن الخوجة الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص ص32 ،33.

[6]سوره النور الآية 32.

وذكر أن النكاح سبب لبقاء النوع الإنساني وهو مهم لصحة البدن وكذلك لنمو المجتمع وازدهاره مستشهدا بقول النبي صلى الله عليه وسلم"تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة»[1].

والنكاح سنة مؤكدة لتحصين النفس والابتعاد عن الفاحشة وتحصيل الثواب، قال تعالى:« وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا "[2].

واتى ابن الخوجة كذلك بالعديد من الأدلة والشواهد التي حرمت الزنا وقام بتفسير الآيات التي تحرم هذا الفعل، ورد الحكمة من تحريمه في اختلاط الأنساب والضرر بالهيئة الاجتماعية والصحة العمومية، وكذا ضياع الأموال الطائلة وأن التبتل غير جائز إلا بعجز عن القيام بما لابد منه لقوله صلى الله عليه وسلم: " لا رهبانية في الإسلام"[3].

أكد كذلك على ضرورة النكاح عملا بنصوص العلماء وجعل النكاح أفضل من أداء النوافل وأفضل من العلم والتعلم لما يترتب عليه من مصالح دينية ودنيوية من عفة النفس وفراغ الخواطر من وساوس الشيطان وقد نبه إلى أنه من المغالطات التي يقع فيها كثير من الرجال هي أنهم يمتنعون عن الزواج بحجه التفرغ الى الدين وهذا ما نفاه [4]مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم: «ما بال قوم قالوا كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأصلي وأتزوج النساء فمن رغب عن شيء فليس مني".

تحدث أيضا مره أخرى عن موضوع التعدد وبين أن الحكمة منه منفعة للزوج خاصة إذا كانت زوجته مريضة أو عاقرا وهو كان يرغب في البنين، فزواجه مره ثانية أحسن له من

---

[1]المقصود بالباءة هنا المنزل لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا، للمزيد ينظر: ابن الخوجة الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق،ص 34.

[2]سوره النساء الآية 32.

[3]أخرجه أحمد وأبو داوود وصححه الحاكم للمزيد ينظر :ابن الخوجة الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص ص 39، 40.

[4] نفسه، ص ص 43 ،44.

الزنا والوقوع في الحرام لكن ذلك يشترط تطبيق العدل وإن لم يكن عادلا كان التعدد حرام لما فيه من ظلم.

وعليه فقد حرم الله تعالى ذلك التعدد الذي أباحه عند خوف عدم القدرة على العدل فضلا عن وقوعه بالفعل.

كما انتقد ابن الخوجة الفكرة التي أتى بها محمد عبده في دروسه وهي تقييد التعدد، والتي أصبحت فيما بعد دستورا يطبق في العديد من الدول العربية وبموجبه منع التعدد نهائيا خاصة عند الجارة تونس، كما قيد كذلك التعدد في سوريا لكنه لم يطبق في مصر لأنه لقي معارضة شديدة هناك[1].

كما أنه تطرق إلى شروط تطبيب العشرة بين الزوجين وقال أن المرأة يجب أن تتوفر بها ثمانية مقاصد استنادا لقوله صلى الله عليه وسلم:« تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين."

أما خفة المهر مطلوبة لقوله صلى الله عليه وسلم:«أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا.»[2] أما كونها ولودا فقوله صلى الله عليه سلم: « تزوجوا الولود الودود.».[3]

أما كونها بكرا فلقوله صلى الله عليه وسلم:«تزوجوا الأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما"[4].

وأن الزواج بالمرأة البكر له ثلاثة مزايا الأولى أنه هاته البكر تستحب الزوج وتألفه بسرعة عكس المطلقة التي قد لا ترضى ببعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته فتبغض

[1] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص 44.

[2] رواه الإمام أحمد والبيهقي.

[3] رواه أبو داوود والنسائي.

[4] أي أكثر أولادا.

الزوج لا محالة والثانية فذلك أكمل في مودة الزوج لها أما الثالثة فإنها لا تحن إلا إلى الزوج الأول[1].

وقد تبوأت المرأة مكانة مرموقة في الإسلام فمنحت عدة حقوق دون الرجال كالحق في الحضانة والنفقة والمهر والمسكن والكسوة كما نهى الاسلام عن سلب حقوقهن[2] في قوله تعالى :« وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا "[3].

وأعلم أن مقاصد الحياة الزوجية لا تتم إلا إذا كان كل واحد من الزوجين مراعيا حق الآخر، والتعاون على تربية الأولاد وحسن المعاملة وكذا القيام بالواجبات الزوجية المادية والمعنوية،[4] وفي نظره أن تدهور العلاقات الزوجية والتي وصلت إلى أقصى درجات الانحطاط، يعود إلى غياب الاحترام المتبادل بين الطرفين الذي هو أساس السعادة الزوجية فعوض الوفاق والوئام نجد الخلافات "إن جل نسائنا يتطاولن على رجالهن ويكلفنهم ما لا يطاق من الإخفاق والتبذير منهن من لا تحيي زوجها ولا ترحب به ولا تبشر في وجهه بل تعرض عنه ولا تجيب نداءه ولا تمتثل لأمره ، وفيهن من تشتمه وتدعو عليه مشافهة حتى إذا اضطر بعضهم إلى تأديبهن بالضرب زيادة على بذل جهده في اللعن والسب سبب ذلك هو جهلهن وجهل أزواجهن بعلم الدين [5]كما تحدث ابن الخوجة على نساء الغرب فيما يخص مسألة معاملة أزواجهن بقوله.

---

[1]محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص ص48، 49.

[2] نفسه ، ص 50.

[3]سوره النساء الآية19.

[4]محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص 58.

[5]بن يوسف فاطمة عبد الباسط قلفاط، المرجع السابق، ص9.

عكس ما ذكرناه، نساء الإفرنج فإن غالبهن لا ينهجن مع بعولتهن ذلك النهج، وما ذلك لتغذيتهن بلبان المعارف التالد (القديم) منها والطارف (الحديث) بالعلم الذي هو أكمل مهذب وأحل مؤدب.

كما حذر المؤلف بالمقابل الأزواج من ظلم زوجاتهن كمنعهن من الخروج عند الحاجة كزيارة أهلها أو خدمة أبوها أو حج الفرض بمحرم، كما حث النساء على البقاء في بيوتهن وعدم الخروج إلا للضرورة[1] لقوله تعالى: "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ "[2].

وإن الرجل إذا كان قائما بتعليم زوجته فليس لها الخروج لسؤال العلماء فليس لها أن تحتج إلى مجلس علم إلا برضاه.

كما عالج ابن الخوجة أيضا قضية خروج المرأة الى العمل فأرجع الأمر إلى العديد من الاختيارات فإن كانت حجة الرجل في منع زوجته من الذهاب الى العمل في أن هذا الأخير يتعبها وينقص من جمالها فله الحق في منعها، أما العمل الذي لا ضرر لها فيه فلا يحق له منعها مستدلا بالآيات والأحاديث النبوية الشريفة.

ذكر كذلك مجموعة من الخروقات التي تنتهك في حق النساء على أيدي البربر[3] ومن ضمن هذه الخروقات نذكر:

- عدم توريث النساء مع أن الله يقول في كتابه: «لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا »[4].
- الثاني هو أن طلب الخلع عندهم جائز مطلقا سواء كان النشوز من قبل المرأة أو من قبل الرجل، والثالث هو أن المهر عندهم يأخذه ولي المرأة من الزوج ولا يعطيها شيئا مع

[1] عبد المجيد بن عده، المرجع السابق،ص 70.

[2] سورة الأحزاب الآية 30.

[3] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص ص63-64.

[4] سورة النساء الآية 07.

أن الله تعالى يقول:« وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً »[1] والرابع العرف المسمى عندهم «بتعليقت»وهو طريقة مسلوكة أو متبوعة وهو مختص بقبيلة بني فيلق وحدها دون سائر القبائل وهذه عادة أن الرجل إذا مات وأرادت أرملته أن تتزوج بعد انقضاء عدتها فليس لها الحق في ذلك ولا كلام أيضا لأوليائها أيضا في تزويجها بل هو من حقوق الوارث منفردا كان أو متعددا فإن حلت لأحد الورثة وارتضاها ،تزوج باتفاق جميعهم على أن يدفع 25 فرنكا لوليها والفاضل يكون من تمام مال الفقيد وإن لم يحل لبعضهم، أو حلت ولم يتفقوا على اقترانه لها اختاروا لها زوجا أجنبيا عنهم وأمروا وليها بالعقد عليها ونحوها[2].

وعلق الشيخ على هذه العادة الذميمة بقوله أن المرأة عندهم كالأثاث والعجيب في الأمر أنهم يزعمون من سن العرف هو بعض الصالحين من آل البيت.

وكان لمسألة الجبر وهو حق الأب في تزويج أولاده وهم صغار دون السن القانونية (النكاح المبكر) نصيبا ضمن كتاب ابن الخوجة قياسا على ما كانت تحظى به هذه المسألة من اهتمام من طرف المستشرقين ومن المسائل التي لا جبر فيها على المرأة أنها إذا كانت بالغة لا تجبر على النكاح ولو كانت بكرا لانقطاع الولاية بالبلوغ عندنا بحيث لا يحق للأب بأي حق من الحقوق تزويج ابنته لأي كان سواء للشيخ الكبير أو الرجل الذميم أو الذي ساءت أخلاقه بل عليه أن يزوجها لمن وقعت عليهم موافقتها[3].

وفيما يتعلق بحرية المرأة اعتبر ابن الخوجة أن الشرع الإسلامي أعلن حريتها وخولها حقوق الإنسان واعتبر لها كفاءة لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من

[1] سوره النساء، الآية 4.

[2] بن يوسف فاطمة عبد الباسط قلفاط، المرجع السابق، ص 8.

[3] زهير بن علي، المرجع السابق، ص 155.

بيع وشراء ورهن وإجازة ووصية من غير أن يتوقف تصرفها فيما ذكر على إذن أبيها أو زوجها[1].

أما عن قضية الطلاق فقد دعى الزوجين إلى التروي قبل الإقدام عليه كما دعا الأهل والأقارب إلى التدخل للإصلاح بينهما لقوله تعالى:« وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا »[2].

وفي حديثه عن موضوع الطلاق يقول أنه مباح شرعا عند استحالة عيش زوجين مع بعضهما مستدلا بقوله تعالى:«أبغض الحلال عند الله الطلاق» .

وقوله صلى الله عليه وسلم: « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير يأس فحرم عليها رائحة الجنة».[3]

وقد بغض الطلاق لما فيه من مفاسد وإيذاء خاصة للمرأة وقد أحله للضرورة فقط كخيانة المرأة لزوجها ومن شروط الطلاق إذا عزم الرجل على طلاق امرأته فليطلقها في طهر لم يمسها فيه ويحرم بحيض لئلا يؤذيها بتطويل العدة وإذا طلق الرجل امرأته طلقة أو طلقتين يمكنه إرجاعها بعد انقضاء العدة أما إن طلقها ثلاث طلقات فلا تحل له إلا بنكاح رجل آخر، وإن حصل الطلاق بصفة لا رجعة فيه يجب على الرجل النفقة على طليقته وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن[4].

كذلك اهتم بالحياة الاجتماعية والمدنية وخاصة حالة المرأة الجزائرية المسلمة فألف كتابا آخر أسماه اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، وقد عالج فيه قضية الزينة عند

---

[1] نفسه، ص155.

[2] سوره النساء الآية 35.

[3] حديث صحيح متفق عليه أخرجه الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجه وابن حيان للمزيد ينظر: ابن الخوجة الاكتراث بحقوق الإناث،المصدر السابق، ص93.

[4] ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث،المصدر السابق ، ص 94.

الذكر والأنثى وذكر المقاييس التي تعتمد عليها المرأة في زينتها وذكر أن المرأة لا ضرر بأن تتزين بشتى أنواع المجوهرات والثياب والحرير على عكس الرجل، فهو محرم عليه[1].

وقد أعطى الكمال حيزا كبيرا لقضية الحجاب في كتابه اللباب وبرهن بأدلة قطعية لفرض ارتدائه لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا »[2].

فالله تعالى أمر بالحجاب فهو ستر للمرأة ولا يمنعها من القيام بواجباتها ولا العمل وأن حكم الحجاب عند المرأة يعتبر واجبا فحرم عليها بذلك النظر إلى ما لا يحل لها النظر إليه كما لا يحل لها إبداء زينتها للأجانب إلا ما كان ظاهرا، كالخاتم والكحل بشرط الأمن من الشهوة،وذكر كذلك الأشخاص الذين يحق للمرأة الكشف عليهم كأبيها وزوجها[3].

كما تطرق إلى أحكام الخطبة وأباح للخاطب رؤية خطيبته والنظر إليها وتحدث كذلك على ظاهرة خروج المرأة مكشوفة الوجه[4] ولم يعتبر ذلك خروجا عن الدين، كما قال أن التشدد في الحجاب الزائد

على المرأة وإقعادها في المنزل قد يكون مضرا بصحتها الجسمية و النفسية وقد تطرق أيضا إلى موضوع خروج المرأة متزينة واعتبر هذا الفعل غير لائق [5]بل حرام مصداقا لقوله تعالى:« وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ "[6].

كذلك في كتابه شن هجوما عنيفا على السفور الذي دعا إليه قاسم أمين وكذا المستعمر باعتبار الحجاب رمزا من رموز الهوية الوطنية لذا عمل على انتزاعه وانتزاع كل

---

[1]مصطفى بن الخوجة اللباب في أحكام الزينة،المصدر السابق، ص ص 20 –30.

[2]سوره الأحزاب، الآية 59.

[3]مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة،المصدر السابق، 140–148.

[4] نفسه ،ص153.

[5]محمد بن مصطفى بن الخوجة ،اللباب في أحكام الزينة ،المصدر السابق، ص ص 159، 160.

[6]سورة الأحزاب، الآية33.

ما يمثله من لحاف وحايك، وإرغامهن على لبس لباس الإفرنجيات لأنه رمز التحضر والتمدن، كما شن هجوما على الذين يزعمون أن اللباس الغربي يتعارض مع الشريعة الاسلامية وأنه حرام فمن يلبسه فهو ملعون ليوم الدين فرد عليهم بأدلة مبينة زيغ هذه الدعاوي وبعدها عن الدين لأن طبيعة المهن في كثير من الأحيان تحدد نوع اللباس، والإسلام لم يوجب أهله على لباس معين لا داخل الصلاة ولا خارجها، المهم أن تتوفر فيه الشروط الشرعية، حتى يحفظ نساء المسلمين[1].

وليعالج هذه المسائل ولتفادي الوقوع في الخطأ شدد على ضرورة الاهتمام بعلم الدين المرادف للتمدن، إذ هو خير سبيل لتحقيق الرضا كما تدل عليه الصورة الحقيقية للإسلام في العلم الواسع والشرف الشامخ والغد اليافع والثروة والسطوة العامة والفتح المبين والعمران والتمدن[2].

إذا موضوع المرأة من المواضيع الحساسة التي تصدرت قائمة اهتمامات ابن الخوجة باعتبارها عصب الحياة الإجتماعية ،حيث دعا الى التمعن والالتفاف إلى حقوقها، فهي التي أنجبت وربت وعلمت الأجيال فقدم نصائح وإرشادات للاعتناء بها والاهتمام بتعليمها وإخراجها من الجهل التي هي فيه إلى واقع أفضل تسوده المساواة والتقدم والرقي.

ثانيًا: الاهتمام بالعلم والتعليم:

يعد ابن الخوجة من بين المفكرين الذين حملوا على عاتقهم مهمة إحداث ثورة إصلاحية من أجل النهوض بالشعب الجزائري، فقد آمن بأن تدهوره راجع إلى الجهل والإهمال والتقليد الأعمى، وأن السبيل للإصلاح يبدأ بإحياء العقل وتعميم العلم و أجمل أهمية العلم في أنه يميز الإنسان عن الحيوان والجماد فالعلم على حد قوله: "يدل على حدة ذهن صاحبه، وسعة عقله، ونفوذ بصيرته، وصفاء جوهره، وسلامة ذوقه ورقة طبعه[3].

---

[1]بن يوسف فاطمة عبد الباسط قلفاط، المرجع السابق،ص ص9، 10.

[2]عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص 70.

[3]محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص ص 103، 104.

وقد دعا ابن الخوجة إلى إحداث نهضة علمية شاملة تمس كافة المجالات للتصدي للعدوان الفرنسي، الذي سعى إلى طمس الهوية العربية من لغة لدين وكذا غلق المعاهد والاستيلاء على المساجد وسعيه لانتزاع رداء الإسلام والتضييق على اللغة العربية[1].

فألّف ابن الخوجة الكتب وحقق بعضها، ودعا الجزائريين إلى الاهتمام بالعلم لأنه يميز الإنسان عن غيره، ولقد كان التعليم في الجزائر واجبًا دينيًا واجتماعيًا، لأنه كان قائمًا على الدين ولخدمته في المجال الواسع باعتبار الإسلام دينًا ودولة.

أما من الجانب الاجتماعي منها والسائد سنة 1830م، أن المتعلم خير من الجاهل، وأن حب العلم من الإيمان على أثر هذا كثرت المدارس وانتشر التعليم في الجزائر وتنوعت طرقه، ما أثار دهشة واستغراب الفرنسيين خاصة الأوائل منهم[2].

وتثبت الوثائق التاريخية أن التعليم كان جد مزدهر في الجزائر خلال القرن التاسع 10 ميلادي، فكانت المدن حافلة بالأساتذة والتلاميذ وكثرت المدارس كما كانت الزوايا بالقرى حافلة بالمساجد والطلبة لكن هذا لم يدم طويلًا في ظل سعي فرنسا المتكرر لمحو كل ما هو عربي وإسلامي لكن الجزائريين لم يبقوا مكتوفي الأيدي بل قاوموا هذا الوضع وهرعوا إلى حماية الدين وإحيائه[3].

ولقد لعبت الزوايا دورًا مهمًا في التعليم، ولعل ازدهار التعليم في الجزائر قبيل الاستعمار الفرنسي راجع إلى وجود زوايا كبرى، وكان لكل طريقة دينية عدة مدارس منتشرة في القطر الجزائري.

وتشير مختلف الدراسات إلى أن التقارير الصادرة عن مصلحة الاستخبارات العسكرية الفرنسية أن نسبة التعليم ومؤشره كانا مرتفعين مقارنة بالفرنسيين المحتلين، فقد كان عدد الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة يفوق ما يوجد في الجيش الفرنسي.

---

[1] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2، المطبعة العربية، الجزائر، 1991، ص 24.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص ص 288، 290.

[3] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2، المصدر السابق، ص 28.

إذ بلغ عدد الأميين عندهم 45% وذلك سنة (1836 – 1837)، بينما كان عدد الجزائريين يبلغ حوالي 55%[1].

لكن بعد الاحتلال الفرنسي قامت السلطات الفرنسية بإعادة هيكلة المنظومة التربوية في الجزائر، فقاموا بمصادرة الأوقاف لكي يصبح التعليم بدون تمويل وكذا تهميش اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية وممارسة الضغط على المدارس القرآنية والزوايا بهدف إنقاص نشاطها[2].

ويقول أحد الأهالي: إن شعبنا قد بلغ أقصى درجات التقهقر وأدنى مواقع التخلف فكان مختلف الأهالي رافضين لفكرة التعليم في المدارس الفرنسية، لذلك لجأت الإدارة الفرنسية إلى استعمال مختلف الوسائل الإغرائية لخلق مناصب شغل محترمة للمتعلمين، على غرار منصب المحامي الطبيب القاضي وغيره،فتم غزو الأهالي في عقولهم وحتى بيوتهم، لذا كان واجبًا على رجال الإصلاح التمسك باللغة العربية وتعلم أصولها والدفاع عن الدين الإسلامي[3].

وهذا ما دعا إليه ابن الخوجة إذ يقول: إن العلم من أجل نعم الله على الإنسان كيف لا وبه تدرك الحقائق وتُعرَف ويخلد الذكر الجميل.

وقد نوه أيضًا بمكانة العلماء، وأن العلم لا يناله إلا أشرف الناس، وقال إن ما تراه اليوم من عدم مبالاة بعض الأغبياء بالعلماء فذلك راجع لجهلهم بفضل العلم وشرفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما يعرف الفضل من الناس ذووه"[4].

---

[1] زهير بن علي، المرجع السابق، ص 12.

[2] آسيا بالحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، ع7، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، ديسمبر 2011، ص 58.

[3] شريف بن حبيلس، الجزائر كما لم يرها أحد الأهالي، ت.ر: عبد الله حمادي وآخرون، المسك (د ب)، 2012، ص 4

[4] نفسه، ص 54.

ولقد وردت في فضل العلم آيات وأحاديث، من الآيات قوله تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم[1]."وقوله تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ [2]."فمنع المساواة بين العالم والجاهل، وذلك نظرًا لما قد خُص به العالم من فضيلة العلم أما من السنة النبوية الشريفة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضل العلماء: "إنما العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر."و"من سلك طريقًا يطلب به علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة".وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي أقرت بأهمية ومشروعية العلم.

ويقول الكمال: إن العلم فضيلة الإنسان وغذاء روحه وكمال وشرف لصاحبه وينقسم من ناحية الشرع إلى العين والكفاية ، فالأول يُوجَب على صاحبه طلبه والثاني هو المتحدث به المقصود حصوله من غير نظر بالذات إلى فاعله.

ويتناول ما هو ديني كصلاة الجنازة وما هو دنيوي كالضائع المحتاج إليها، وإذا قام به البعض سقط عن الباقين [3].

وقد ورد على لسانه استحالة الإحاطة بجميع العلوم نظرًا لاتساعها وتشعبها ولأن العمر كله لا يكفي في سبيل ذلك لقوله تعالى: " وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "[4]، تأكيدًا على محدودية المعرفة البشرية أمام علم الله اللامحدود كما نادى ابن الخوجة أيضًا بضرورة عدم ترك الصبيان حتى البلوغ بل على أوليائهم تعليمهم منذ سن التمييز خاصة الأمور التي حث

[1]حديث صحيح أورده الخطيب في تاريخه، والقضاعي في مسند الشهاب، وابن الجوزي في الموضوعات، للمزيد يُنظر: ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص ص105،106.

[2]سورة آل عمران: الآية 18.

[3]حديث صحيح رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي الدرداء، للمزيد يُنظر: مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص 106.

[4]سورة الإسراء: الآية 85.

عليها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كالرماية والسباحة والفروسية كما أنه واجب على كل مسلم ومسلمة تعلم العقائد الدينية بأدلتها اليقينية.

كما أن العلم يؤدي إلى الإيمان ولقد أشار الشيخ ابن الخوجة إلى تنوع العلوم التي ينبغي للمسلم تعلمها.

أبرزها المرتبطة بأحكام الطهارة الصلاة الزكاة والصيام، لما لها من راحة للنفس والبدن وكذا أضاف إليها أحكام الحج وما يتصل به من اختلافات بين الأمم المختلفة من مشارق الأرض ومغاربها.

نوه أيضًا إلى علوم أخرى لا تقل شأنًا منها علم الأخلاق، علم الحلال والحرام، علم الألفاظ المحظورة أو المكفِّرة، وكذا علم البيع والشراء، النكاح، علم التفسير، الحديث، الأصول، المنطق، والبحث، وغير ذلك.

وشجع أيضًا الكمال على تعلم اللغات الأجنبية [1]بغرض نفع المسلمين كترجمة الكتب التي لها فائدة إلى العربية، وقد استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم."

نادى أيضًا بضرورة تعلم علم الحساب والطب لحفظ الأبدان أما الحساب فضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث، إلى جانب الزراعة، الخياطة، الحياكة، البناء، التجارة، الصناعة، والحدادة...." هذا ما كانت عليه الأمة الإسلامية، أدامها الله.

كما أكد ابن الخوجة على ضرورة تعليم النساء فالنهضة لا تكتمل إلا بتعليم المرأة لأنها نصف المجتمع ودعا الرجال إلى عدم ظلم النساء وحرمانهن من التعليم في أمور دينهن، لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا "[2].

[1]محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص 108.

[2]سورة التحريم: الآية 06.

ذلك لأن السياسة التي كانت تطبق عليهن جعلتهن لا يفرقن بين الحلال والحرام وأثرت عليهن بشكل كبير في أمور الدين وقد أثبت التاريخ أن نساء السلف الصالح قد تبوأن مكانة مرموقة كعائشة وحفصة رضي الله عنهما، وقد وُلدت في الشريعة إرشادات جمّة في تعليمهن، وقد أنشئت لهن المكاتب والمدارس في الزمان الغابر.

ولقد لاقت صيحة ابن الخوجة رواجًا كبيرًا لدى الجزائريين الذين وجهوا أنظارهم اتجاه التعليم، لكن الظروف الاستعمارية حالت دون انخراطهم الفعلي في التعليم لأن المستعمر الفرنسي لم يسمح بذلك فقد كانت نواياه واضحة للعالم منذ أن وطأت أقدامه الجزائر، حيث سعى لتضييق الخناق عليهم وجعلهم يفرون من التعليم وسعى لنشر التعليم الفرنسي على حساب التعليم الإسلامي بغرض القضاء على مقومات الهوية الوطنية[1].

ومن خلال ما تطرقنا إليه يتضح لنا أن ابن الخوجة جعل من قضية العلم أولوية في إصلاحاته فقد كان دائم الدعوة إلى ضرورة النهوض بواقع التعليم في الجزائر، وحث كذلك الجزائريين على تحصيله والاهتمام به متحدين بذلك الممارسات الاستعمارية التعسفية التي سعت إلى تجهيل المجتمع وتهميشه.

وعليه، فإن دعوة الكمال المستمر إلى نشر العلم بين فئات الشعب لم تكن مجرد طموح ثقافي بل كان خيارًا استراتيجيًا لتمكين الأمة الجزائرية من استعادة مقوماتها وهويتها والخروج من براثن الظلمات إلى النور.

ثالثًا: الدعوة إلى الاهتمام بالصحة وإصلاح حالها:

احتل موضوع الصحة أيضًا حيزًا كبيرًا ضمن أولويات الشيخ الكمال في برنامجه الإصلاحي لا سيما في ظل الأوضاع الصحية المتدهورة التي كانت سائدة في الجزائر آنذاك، من تفشي الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة في المجتمع ،فأدرك الشيخ أنه من

[1] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص ص 116-120.

الضروري توعية الجزائريين بأهمية الوقاية الصحية فألف العديد من الكتب لهذا الغرض ككتاب تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان.

قدم فيه مجموعة من الإرشادات المتعلقة بالصحة وسبل المحافظة عليها وطرق التداوي، في ظل سياسة استعمارية تميزت بانتشار الأمراض الفتاكة[1].

وكان غرض ابن الخوجة من إنشاء هذه الرسالة هو تقوية الشعور القومي لدى الجزائريين في ظل الانتشار السريع للأوبئة رغم الإجراءات التي وضعتها السلطات الاستعمارية للحد من انتشارها والتي تمثلت في إنشاء مستشفيين أحدهما في جبال الأوراس والآخر في بلاد القبائل.

وترجع ظاهرة تفشي الأمراض إلى أن الجزائريين امتنعوا عن المعالجة في المستشفيات زاعمين أن ترك المعالجة والتحرز من التوكل على الله وأن التطبيب بغير المسلم محظور ولا يجوز فسقطوا بذلك في مستنقع الأوبئة والأمراض المعدية[2].

فحثهم ابن الخوجة على التوجه للطبيب لأنه هو الوحيد القادر على تشخيص الداء ومنح الدواء بغض النظر إن كان الطبيب مسلمًا أو كافرًا ولإقناعهم كان الشيخ دائمًا الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء والفقهاء[3].

إلى جانب هذا تحدث الكمال أيضًا عن الأدوية في الشريعة الإسلامية والمكانة التي تبوأها الطبيب أيضًا وذكر كذلك بعض الأعشاب المفيدة التي وصى بها ديننا الحنيف كذلك جاء بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[4] مستدلًا بقوله تعالى: " وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ[5]".

---

[1]بن يوسف فاطمة عبد الباسط قلفاط، المرجع السابق، ص 12.

[2]علي تابليت، المرجع السابق، ص 90.

[3]بن يوسف فاطمة، عبد الباسط قلفاط، المرجع السابق، ص 12.

[4]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص255.

[5]سورة البقرة: الآية 195.

مؤكدًا على ضرورة التحصن من الوباء والمرض وكذلك على ضرورة الحذر من جميع المضار واجتناب كافة السبل التي من شأنها جلب الأمراض وبالتالي يتحقق التحصن إلا بإقامة المحاجر الصحية التي عُرفت عنده بـ"الكرنتينة"[1]، داعيًا المسلمين للاهتمام بالنظافة لأنها أعظم وسيلة للمحافظة على صحة الإنسان ولما لها من تأثير على طهارة البدن وخفته وكذلك سرعة الفهم داعيًا إلى الابتعاد عن الأوساخ قدر المستطاع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حق كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يومًا يغسل فيه رأسه وجسده."[2]

كما أكد على الطهارة أيضًا لأنها غذاء للروح ومن أعظم الوسائل لحفظ الصحة على الإطلاق فيها تتحقق الصحة ويسلم العقل.

ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم حريصين على نظافة الجسد والملبس والأفنية ففي صحيح مسلم حديث: "الطهور شطر الإيمان[3]"، كما ذكر الكمال أيضًا بعض اهتمامات الحكومة الفرنسية في هذا الجانب كنظافة المساكن والشوارع وأصدرت كذلك الأوامر المانعة للأهالي من طرح الأزبال وإلقاء الأقذار بالقرب من المنازل وفي الساحات العمومية كما نهت عن تكدير المياه.

يُعد السواك كذلك من بين الأمور التي أكد على استعمالها وذلك لما لها من انعكاسات على صحة الإنسان.

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه[4]".

---

[1] علي تابليت، المرجع السابق، ص 101.

[2] حديث صحيح: رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة. للمزيد يُنظر: محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، المصدر السابق، ص 35.

[3] ابن حيان في صحيحه، بإسناد حسن، وكذا أخرجه أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير. للمزيد يُنظر: محمد بن مصطفى ابن الخوجة، المصدر نفسه، ص 35.

[4] حديث صحيح، أخرجه الترمذي والنسائي.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن الخوجة وفق ما نُهي إليه في هذا الموضوع قد تبنى هذا الموقف استنادًا إلى الكتاب الذي أشار إليه وهو كتاب إتحاف المنصفين والأدباء في التحرز من الوباء لحمدان خوجة الذي ألفه سنة 1837.

وقد جاء هذا الكتاب ردًا على المتهورين الذين لا يقيمون وزنًا للتغييرات والذين يستهينون بخطر الأوبئة معتبرين أن الأمور تجري بمشيئة الله فقط دون الأخذ بأسباب الوقاية من الأمراض المعدية.

ويُعد حمدان خوجة أفضل من كتب في موضوع الصحة والاحتراز من الأوبئة خاصة وأنه عاش في فترة كانت فيها أوروبا ودول الشرق تولي الطب والصحة اهتمامًا كبيرًا فمن الطبيعي أن يكون لديه إلمام كبير بمسألة الأوبئة وطرق الوقاية منها[1].

يمكننا القول إن العلامة ابن الخوجة أولى عناية خاصة بموضوع الصحة معتبرًا إياها أحد الأركان الأساسية لبناء الإنسان الصالح والمجتمع القوي فقد آمن أن الفرد الجزائري لا يمكنه أن يتحرر من التخلف والجهل ما لم يكن سليم البدن والعقل انطلاقًا من مقولة: "العقل السليم في الجسم السليم".

من هذا عمد الشيخ إلى تقديم مجموعة من النصائح والتوجيهات التي تهم الصحة وسبل المحافظة عليها.

رابعا: الدفاع عن العقيدة الإسلامية:

تجلى موقف الإدارة الفرنسية من الإسلام في الجزائر بعداء كبير منذ اللحظات الأولى للاحتلال، وهذا تجلى بوضوح من خلال الإجراءات القمعية التعسفية التي مست المؤسسات الدينية مثل مصادرة الأوقاف وتحويل المساجد والزوايا إلى ثكنات عسكرية وإسطبلات وكذا

[1] بن يوسف فاطمة ،عبد الباسط قلفاط، المرجع السابق، ص 13.

إلى كنائس في بعض الحالات وهذه الممارسات تعد دليلاً واضحاً على أنها لم تكن احتلالاً عسكرياً فقط بل كانت تحمل في طياتها صفات الحروب الصليبية[1].

مع نهاية القرن التاسع عشر ميلادي تعرض الإسلام لهجمة فكرية شرسة شنها عدد من المستشرقين سعوا من خلالها إلى تشويه صورته والتشكيك في مبادئه وفي مواجهة هذه الحملة انبرى عدد من المفكرين والمصلحين المسلمين العرب للرد على تلك الاتهامات، ومن بينهم برز محمد بن مصطفى بن الخوجة من خلال كتابه "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام" من خلال هذا الكتاب سعى ابن الخوجة إلى توضيح الصورة الحقيقية للإسلام في مواجهة المستشرقين ونفى ما ابتدعه المتصوفة عنه[2].

أرجع ابن الخوجة سبب انتشار هذه الكتابات المعادية للإسلام إلى سوء فهم الأوروبيين للإسلام الصحيح لأنهم اعتبروا بعض من يدعون الإسلام ممثلين له خاصة أنهم كانوا يرغبون في الظهور فجعلهم ذلك يهاجمون كل مخالف لهم في العرق، اللغة، والعقيدة.

كان الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضرورة ملحة لأن التعصب هو أساس الشقاق وسبب في حرمان الأهالي من الاستفادة من مظاهر التطور الذي بلغته فرنسا المتحضرة [3].

وكنتيجة لتأليفه لهذا الكتاب اهتزت مكانته لدى الجزائريين وحتى المصلحين المسلمين وعلى رأسهم الإمام رشيد رضا الذي أنكر عليه موقفه من الجهاد في ظل فترات تقهقر المسلمين ورأى رشيد رضا في ذلك تبريراً للتخاذل والتنازل عن أحد المبادئ الإسلامية وهو ما يصب لصالح إدارة الاحتلال الفرنسي[4].

---

[1] شهرزاد واضح، "قضايا الهوية الوطنية في كتابات النخبة الجزائرية (مصطفى ابن الخوجة نموذجًا)"، مجلة مدارات تاريخية، م 1، ع 3، جامعة الجزائر، سبتمبر 2019، ص 475.

[2] نفسه، ص ص 475-476.

[3] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، تح: عبد الرحمن دويب، ط خ، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 18.

[4] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 5، المرجع السابق، ص 319.

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن الكمال كان دائماً يدافع عن العقيدة الإسلامية نافياً جميع الممارسات الخاطئة المتعلقة بالدين الإسلامي فقد تطرق في كتابه "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام" إلى النظرة الخاطئة التي يروج لها الغرب، حيث اتهموا المسلمين بالتوحش والتعصب الديني وبيّن أن الإسلام ينهي المنتسبين إليه عن معاملة غيرهم إلا بالحسنى مستنداً إلى حجج من الإسلام نفسه من قرآن وسنة نبوية[1].

ومن المعلوم من الدين أن التعصب الديني محرم في الشريعة الإسلامية كما جاء في قوله تعالى: " لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ "،[2] أي لا يُكره أحد على الدخول في الإسلام أو تغيير دينه فالإنسان في الإسلام هو كائن مختار وهو ما أوصى به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال: "لست عليهم بمسيطر، وعندما كان الإسلام هكذا فقد كان إنسانياً متسامحاً ليس له سلطة على الإنسان إلا سلطة العقل والبرهان من هنا كل ما يتوافق مع العقل هو إسلامي بالضرورة والمفهوم.

واستشهد الشيخ الكمال بحديث نبوي شريف أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "إن رجلاً من بني سالم بن عوف يقال له الحصينة كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلاً مسلماً فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا استكرههما؟ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فنزلت هذه الآية: [3] " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " وقال أيضاً: " وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ "[4].

وتتفق أغلب المصادر على أن الشيخ الكمال دعا إلى معاملة غير المسلمين بالحسن وقال بأنه لا ضرر في معاشرتهم والاختلاط بهم وكذا الإحسان إليهم مستنداً إلى قوله تعالى:

---

[1] علي تابليت، المرجع السابق، ص 107.

[2] سورة البقرة: الآية 256.

[3] سورة يونس: الآية 99.

[4] سورة يونس: الآية 99.

"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين[1]."

كما دعا إلى بر الوالدين ولو كانوا غير مسلمين وأوصى الله الإنسان أن يصاحب والديه في الدنيا بالمعروف أي بما يرتضيه الشرع كإطعامهما وكسوتهما وعيادتهما إذا مرضا والدعاء لهما إذا توفيا وعدم الإساءة إليهما ولو بكلمة "أف"، وقد استدل الشيخ الكمال بقوله تعالى: " وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ [2]."

تطرق الشيخ الكمال أيضاً إلى موضوع المعاملات مع غير المسلمين وقال في موضوع التداوي بأنه لا يشترط أن يكون الطبيب مسلماً كما تطرق إلى مسألة زواج المسلم وأباح له التزوج من يهودية أو نصرانية (أو كما أطلق عليهم اسم "الحربيات") ودعا كذلك إلى معاملة أهل الكتاب وفقاً لما نصت عليه شريعتنا الإسلامية السمحة ومجادلتهم بالتي هي أحسن لقوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [3]."

عمد الشيخ الكمال كذلك إلى ذكر سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته للملوك لدخول الإسلام، مثل عظيم فارس وهرقل عظيم الروم وقد خيرهم بين الدخول في الإسلام أو الحرب دون رغبة في القتال حرصاً على إيصال رسالة التوحيد وهذا يعكس سماحة الدين الإسلامي وإنسانيته وإذا كانت الحرب قد رفعت لواءها فحينما تميل الأطراف الأخرى إلى السلم يدعو الإسلام إلى المصالحة[4] مصداقاً لقوله تعالى: " إِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا "،[5] وكذلك قوله: "وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ [6]."

---

[1] سورة لقمان: الآية 23.

[2] سورة الممتحنة: الآية 8.

[3] سورة لقمان: الآية 15.

[4] علي تابليت، المرجع السابق، ص 116-117.

[5] سورة العنكبوت: الآية 46.

[6] سورة النساء: الآية 128.

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن ابن الخوجة قدم خدمات جليلة للشعب الجزائري في مرحلة عصيبة حاول فيها الاستعمار القضاء على كل ما يمكن أن يوقظ وعي الجزائريين وطمس هويتهم الإسلامية وقد رأى ابن الخوجة أن العودة إلى تعاليم الإسلام وتطبيق الشريعة هو السبيل الأمثل للنهوض من واقع الجهل والضعف والدخول في مرحلة القوة والوعي التي تمكن الشعب من الخروج من واقعه المزري والمأساوي وكانت المواضيع التي تناولها بمثابة شريان حي ربط الجزائريين بعقيدتهم وساهم في الحفاظ على هويتهم الإسلامية.

خامسًا: محاربة البدع والخرافات.

تفيد الدراسات التاريخية أن ابن الخوجة كان من أشد العلماء تصديًا للبدع والخرافات فقد كانت دروسه بمثابة وقود لمواجهة هذه الظواهر فقد كان أول من اعتلى المنابر لمحاربة البدع والخرافات والممارسات الصوفية المنحرفة[1] ،حيث وقف بقوة ضد المعتقدات البالية التي كانت منتشرة في أوساط المجتمع الجزائري آنذاك ونفاها جملة وتفصيلًا مؤكدًا أن الزهد لا يعني بأن لا يتزين الإنسان وأن يهمل مظهره ويعيش في فقر دائم.

وقد استند في دعوته هذه إلى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لقوله تعالى: " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ "[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر نعمته عليه ويكره البؤس والتباؤس[3]".

ويبدو أن الكمال كان يسعى جاهدًا لحماية المجتمع الجزائري من الانحرافات والوقوع في الشبهات فحرص على توعية الناس فعمل على بيان الأحكام الشرعية المرتبطة بما يأكله الإنسان من طيبات مبيّنًا النافع منها والضار، مستندًا في ذلك إلى القرآن الكريم كما ركز

[1] عبد المجيد بن عده، المرجع السابق، ص 69.

[2] سورة الأعراف: الآية 31.

[3] حديث صحيح، أخرجه البيهقي.

كذلك على الجانب الروحي للإنسان مؤكدًا أن الزينة الحقيقية لا تقتصر على المظهر الخارجي بل تشمل نقاء القلب وصفاء النفس[1].

ومن الملاحظ أنه ركز على مسألة الطهارة نظرًا لعدة اعتبارات أهمها إهمال الجزائريين للنظافة مثل اعتقادهم بعدم جواز اغتسال المرأة سنة كاملة بعد وفاة زوجها أو وفاة ابنها وقد فنّد هذه التصورات في كتابه اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب محذرًا من البدع والخرافات[2].

وتعد هذه المعتقدات متغلغلة في أعماق المجتمع الجزائري وهي متنوعة وكثيرة، ولعل أبرزها العادات الرمضانية التي اعتاد الجزائريون على اعتكافها في المساجد ليلة 27 من رمضان كمسألة التسبيح أو ما يصحب الشهر الفضيل من إسراف ومبالغات في الاحتفال والتي قد تفقد العبادة جوهرها أو حتى الاحتفال في الليلة نفسها بتصفيد الشيطان.

حيث يقومون بحبس ديك وتصفيده في إحدى القنوات الفارغة وفي ليلة 27 يقومون بإطلاق سراحه معتقدين بهذا الفعل أنهم يطلقون سراح الشياطين والجن.

وقد بلغت هذه البدع أقصى ذروتها وأصبحت عبادة مقدسة لا يجوز الخروج عنها وتحولت إلى طقوس راسخة في ظل غياب العلماء ورجال الدين فقد كانت النساء بمدينة قسنطينة يقمن برمي الخبز في حوض ما للسلاحف يعتقدن بأنه يحتوي على جن يحقق لهن رغباتهن كما لا تخلو هذه الطقوس من احتفالات البرمة والمسيد[3].

فقد جعلت هذه الخرافات بعض الجزائريين أسرًا وأفرادًا مشلولي الحركة مما دفع ابن الخوجة إلى رفع صوته محذرًا من خطرها داعيًا إلى تنقية الدين من الشوائب والخرافات رافعًا للتوحيد ومؤكدًا أن الإسلام لا يمكن أن يستقيم ما دام الناس لا يعبدون الله، مقعدين بين

---

[1] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، المصدر السابق، ص ص23-51.

[2] نفسه، ص ص 72-73.

[3] محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، وإعلامها من1903/1931)، ج 1، ط 2، (د.د.ن)، الجزائر، 2007، ص 76.

أعتاب الأولياء وأضرحة المقابر أو غائبين الوعي في دوامة الانحرافات الصوفية وهي ممارسات رأى فيها ابن الخوجة انحرافًا عن جوهر التوحيد إذا كان الإصلاح واجبًا كون المجتمع الجزائري أصبح مليئًا باللصوص والفجّار والمجرمين نتج عنها الابتعاد عن الدين والتقليد الأعمى للكفّار والانغماس في أهواء النفس والمال.

ولأجل هذا كله دعا الشيخ الكمال إلى تنقية الدين من الشوائب والخرافة والعودة بالإسلام إلى صفائه الأول، ورأى بأن المسلمين أن يعيدوا سالف مجدهم، كما رأى أن القرآن الكريم وحده كفيل بمواجهة كل أشكال الجهل والانحراف وقد خص المرأة باهتمامه، لما لاحظه من أن بعض المعتقدات جعلتها أول ضحايا الجهل والبدع[1].

وقد عبّر عن هذا بوضوح حيث شبّه الجهل بالمرض يستغله الشيطان لبث أوهامه، حين يسوق الناس لطلب الشفاء من الأموات والتوسل إلى الأولياء بدلًا من اللجوء إلى الله. فكيف لأم جاهلة أن تنشئ نشأً صالحًا؟ لا فسوف تأتي بثمار مرّة تحمل في أصلها كل عناصر الضياع والانحلال[2].

كان المجتمع الجزائري يتكوّن من فئتين متناقضتين: فئة جامدة، متعصبة ومتزمتة تتستر وراء التصوف لكنها تعيش في عزلة عن الحركة والعمل وفئة أخرى جاهدة مبهورة بالغرب تقلده تقليدًا أعمى دون وعي أو تمييز.

وفي ظل هذا الواقع برزت فئة ثالثة تتميز بضمائر حيّة وفكر مستقل وروح حرّة، شكلت الأمل الذي عُوِّل عليه لإنقاذ البلاد من حالة الركود والانحلال الأخلاقي.

وهكذا كانت جهود ابن الخوجة وغيره من المصلحين تصب في هدف واحد، ألا وهو إخراج المجتمع من غفلته ودفعه نحو حياة جديدة مع الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية الجديدة.[3]

---

[1] محمد ناصر،المرجع السابق ، ص 77.

[2] نفسه ، ص 83.

[3] محمد ناصر،المرجع السابق ،ص86

وتتجلى مرونة ابن الخوجة في تعامله مع معارضيه بالمرونة والتسامح فلم يقم بتكفير المبتدعة بل كان يؤكد دائمًا أن هدفه هو إظهار الحق وكشف الجهل، دون المساس بعقيدة المخالف أو التشكيك في انتمائهم الديني،وهذا في محاولة منه لتبيين أخطاء المتصوفة المنحرفون دون إحراجهم لكي يستطيع استمالتهم ويتجنب صدام مباشر معهم خاصة وان الغالبية العظمى من الجزائريين كانوا من أتباعهم .

وحينما لم يجد أذان صاغية لخطابه الإصلاحي الداعي الى استرداد نقاء الهوية الأصلية ولم يتراجع عن مهمته بل اتخذ من البراهين العقلية والحجج مسلكا لإيصال رسالته فندد بما شاع في عصره الى مختلف البدع المنتشرة انذاك وحث على التأمل فيها وإعمال العقل سعيا الى إحياء الوعي الديني الأصيل [1].

توفي العلامة محمد بن مصطفى ابن الخوجة في السابع من شوال سنة1333هـ الموافق ل 15 أوت 1915م ودفن بمقبرة الحامة وقبره معروف بها[2].

[1] شهرزاد واضح ، المرجع السابق، ص475

[2] عبد المجيد بن نعيمة،المرجع السابق ،ص429

خاتمـــــــة

في ختام هذه الدراسة التي تناولت الفكر الإصلاحي عند مصطفى ابن الخوجة أوائل القرن العشرين توصلت الى مجموعة من النتائج الجوهرية أبرزها ما يلي:

- يعد العلامة ابن الخوجة من ابرز أقطاب الاصلاح في الجزائر الذين سخروا حياتهم لرفع لواء الجهاد ضد الوجود الاستعماري ، إذ ترك بصمات ثابتة من خلال تضحياته وأعماله التي لاتزال راسخة الى يومنا هذا ويعد تأسيسه لمنظومة إصلاحية ابرز دليل على ذلك.
- يعتبر ابن الخوجة من ابرز الشخصيات التي حاولت الموازنة بين العلوم الدينية والدنيوية، هذا ما أهله ليكون في طليعة علماء عصره من الجزائريين فقد سعى من خلال خطاباته إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة انذاك .
- كان ابن الخوجة يدعو الى العودة الى جوهر الدين بعيدا عن الجمود والتقليد الأعمى للغرب فقد كان يدعو الى الاستفادة منه ومن تقدمه العلمي دون التفريط في الهوية .
- إن المواضيع التي تناولها ابن الخوجة في مشواره الإصلاحي كانت حساسة ، فقد كان ذكيا في اختيار مواضيعه الاصلاحية خاصة في ما يتعلق بالسياسة الاستعمارية ومكانة المرأة التي شهدت انتهاكا واضحا وقضية العلم الذي دعا الى تحصيله وإبراز أهميته، كما أكد أيضا على ضرورة صحة الأبدان لما لها من ايجابيات على صحة الفرد.
- لقد كان ابن الخوجة من المؤمنين بالأخذ بأفكار المصلحين المشارقة والتي يمكن عن طريقها إصلاح المجتمع فقد كان احد تلامذة الشيخ محمد عبده ، لذلك نجده كان مهتما بكل ما يصدر عن المشارقة من جرائد ومجلات كمجلة المؤيد والمنار وغيرها من المنشورات التي تصل الى الجزائر ،وكانت هاته الافكار عمله الإصلاحي والقاعدة التي يعتمد عليها في ذلك.

- يبدو أن وسائل ومرتكزات الإصلاح عند ابن الخوجة تميزت بالتعدد والتنوع فقد تميز بغزارة الإنتاج العلمي فترك لنا عددا من المؤلفات القيمة التي لاتزال الى اليوم مرجعا مهما يستند عليها الباحثون والكتاب في دراساتهم ،كما لجأ كذلك للصحافة من خلال جريدة المبشر للتعبير عن آرائه وإيصال صوته للشعب الجزائري ،بالإضافة الى التعليم المسجدي الذي اتخذه منطلقا رئيسا لإصلاح القلوب والعقول.
- إن تعدد وسائل الإصلاح عند الشيخ يبين لنا العزيمة الكبيرة التي يمتلكها من اجل النهوض بواقع الجزائريين وإخراجهم من دائرة الجهل والخرافات.
- موضوع المرأة اخذ نصيبه ضمن اهتمامات ابن الخوجة باعتبارها الوتر الحساس في المجتمع فهي العمود الذي يرتكز عليه المجتمع فقدم نصائح وإرشادات بخصوصها مستندا على حجج وبراهين قاطعة استوحاها من القران والسنة النبوية .
- كان ابن الخوجة من أوائل المصلحين ولذلك تجنب الاصطدام المباشر مع السلطة خاصة انه ظهر في فترة تاريخية حرجة تميزت بفرض رقابة شديدة على الأقلام المؤثرة في نفوس الجزائريين سواء داخل الوطن وخارجه ومن هنا اختار منهجا إصلاحيا هادئا لمعالجة الأوضاع السائدة في المجتمع أنداك.
- يمكن القول أن ابن الخوجة كان له اثر كبير في حركة الاصلاح في الجزائر ، فقد ساهم في حركة الاحياء التاريخية بوضع آثار الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بين يدي المسلمين في الجزائر وكل إفريقيا ولقد نشر آثار الثعالبي في قاموس طبع في الجزائر سنة 1910 بالمطبعة الثعالبية.
- تتفق اغلب الدراسات أن ابن الخوجة كان من اشد الغيورين عن الدين الإسلامي فقد دافع بلهجة حادة عن تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة ، والابتعاد عن البدع والخرافات التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري استنادا الى أحكام الشريعة الاسلامية فقد تركز نشاطه في مدينة الجزائر لتوفر المطابع بها كمطبعة الثعالبية وفونطانة ،

وتزامن وجوده مع ظهور ثلة من النخبة المثقفة أوائل القرن العشرين أبرزهم عبد الحليم بن سماية وعبد القادر المجاوي والسعيد بن زكري وغيرهم.

- تمكنت جهود ابن الخوجة من تحضير نفوس الجزائريين على الإقبال قدما نحو الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي بعد الحرب العالمية الأولى ، وهو ماتجسد في نشاط تيارات الحركة الوطنية بمختلف مشاريعها والتي ساهمت في بلورة الوعي الوطني وصولا لتفجير الثورة التي توجت بتحقيق الاستقلال سنة 1962.

التوصيات :

على القراء والكتاب الاهتمام بهذه الشخصية الفذة التي لم تنل حقها من الدراسة لأنها تمثل جزءا مهما من تاريخنا الفكري والإصلاحي ، فهذا الرجل لم يكن شاهدا فقط على فترة حاسمة من تاريخ الجزائر بل كان من القلائل الذين عبروا بقلمهم عن ما يحدث في الامة وسبل نهوضها، فمؤلفاته تحمل في طياتها فكرا عميقا وواقعيا يستحق أن يدرس ويقرا خاصة من طرف الجيل الجديد الذي يبحث عن قدوة فكرية في تاريخنا لذا فعلى هذا الجيل أن يدرسوا مؤلفاته المتاحة والبحث على ما ضاع منها من اجل معرفة الأجيال القادمة به وبأمثاله ،فليس للجزائر أن تفتخر بقائمة الشهداء فقط وهي مفخرة عظيمة لا تنكر ، بل لها كذلك أن تعتز بقائمة طويلة وعظيمة من الزعماء والمصلحين الذين أناروا الفكر واخرجوا الجزائر من الظلمات الى النور ، ومن هذا المنطلق نوجه دعوة صادقة للهيئات العلمية والثقافية الى تنظيم ملتقيات وطنية تهدف الى التعريف بهذه الشخصية الفذة وإحياء ارثها في الذاكرة الجماعية.

الملاحق

الملحق 01:

الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة

(المصدر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق ، ص325)

الملحق: 02

صورة تجمع محمد ابن الخوجة مع محمد عبده أثناء زيارته للجزائر سنة 1903

(المصدر: محمد نواسة ، المرجع السابق ، ص 19)

الملحق: 03

نشان الافتخار　　الوسام العلوي　　وسام الخدمة العمومية (السّعف الأكاديمية)

أوسمة الشيخ الكمال الشرفية (محمد بن مصطفى بن الخوجة)

محبرة الشيخ الكمال

(المصدر: علي تابليت، المرجع السابق ، ص251)

الملحق:

04

وسام من ملك المغرب مولاي يوسف عام 1332هـ

(المصدر: علي تابليت، المرجع السابق ، ص252)

الملحق: 05

"مصحف القرآن الكريم"

هدية من ملك المغرب مولاي يوسف

(المصدر: علي تابليت، المرجع السابق ، ص253.)

الملحق

06 :

واجهة كتاب "الاكتراث بحقوق الاناث"

(المصدر: محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الاناث، المصدر سابق.)

الملحق: 07

ضريح المرحوم محمد بن مصطفى بن الخوجة في مقبرة "سيدي محمد" بالجزائر العاصمة

(المصدر: علي تابليت، المرجع السابق ، ص254.)

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- **القرآن الكريم**

1. ابن الخوجة محمد بن مصطفى ، إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، تح: عبد الرحمن دويب، ط خ، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011
2. ابن الخوجة محمد بن مصطفى ، الاكتراث بحقوق الإناث، تح: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، 2005
3. ابن الخوجة محمد بن مصطفى ، اللباب في أحكام الزينة و اللباس و الاحتجاب تح: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، 2006
4. بن حبيلس شريف، الجزائر كما لم يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمودي و آخرون ، دار المسك ، د ب، 2012
5. الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانا الشرقية ، الجزائر ، 1906
6. دي طرازي فيليب ، تاريخ الصحافة العربية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2023
7. محمد رشيد رضا، تفسير سورة يوسف عليه السلام، دار النشر للجامعات، مصر، 2007
8. المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
9. مراد علي ، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر،تر : محمد يحياتن ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار الحكمة،الجزائر، 2007،

ثانيا: المراجع

1. الإبراهيمي أحمد طالبي ، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997
2. أبو رمان محمد ،الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي المقاربات القرى الأولويات الاستراتيجيات،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010
3. ايتين برونو ، عبد القادر الجزائري، تر: ميشال خوري ، دار عطية للنشر ، بيروت ، 1997
4. البعلاوي محمد الساحلي، ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي،(1757-1850)، دار الغرب الإسلامي بيروت ، د س
5. البهي محمد، الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالإستعمار الغربي ،ط4، مكتبة وهبة، مصر 1964

6. بن نعيمة عبد المجيد و آخرون، موسوعة أعلام الجزائر ، (1830-1954)، ط خ ، المركز الوطني للدراسات و البحث و الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر ، 1954، الجزائر د س
7. تابليت علي، أعمال محمد بن مصطفى ابن الخوجة ، منشورات خمسينية ، الجزائر، 2012.
8. جدعان فهمي ، الماضي في الحاضر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997..
9. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ، ج5، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009.
10. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ المدن الثلاث، «الجزائر المدية مليانة» بمناسبة عيدها الألفي، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007.
11. دبوز محمد علي ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
12. دبوز محمد علي ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2، المطبعة العربية، الجزائر، 1991.
13. سالم محمد بهي الدين ،ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير،دار الشروق، القاهرة، 1999.
14. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 / 1954) ، ج 3 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1998.
15. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 / 1954) ، ج 7 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1998.
16. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 2 ، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1992.
17. سعيدوني نصر الدين ،الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري،من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
18. سيف الإسلام الزبير ، رواد الصحافة الجزائرية، مطابع دار الشعب، القاهرة،1981.
19. صاري جيلالي، هجرة الجزائريين نحو أوروبا، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ،2007.
20. طالبي عمار، آثار ابن باديس، م1، ط3، الشركة الجزائرية ، الجزائر، 1998.

21. طهاري محمد ، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر الكتاب الثالث الشيخ عبد الحميد ين باديس، دار الامة للطباعة والنشر، الجزائر،1999.
22. عثمان أمين، رائد الفكر المصري الامام محمد عبده،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1996.
23. عمورة عمار ، الجزائر بوابة التاريخ،ج1, دار المعرفة، الجزائر، 1992.
24. عمورة عمار ، الجزائر بوابة التاريخ،ج2, دار المعرفة، الجزائر، 2009.
25. فويال سعاد ، الساجد الأثرية بمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010
26. كمال عجالي، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيح الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد،وزارة الثقافة،الجزائر، 2004.
27. كواتي مسعود، أعلام مدينة الجزائر و متيجة، دار الحضارة ، الجزائر 2007..
28. محمد نظار سامي ، رفاعة رافع الطهطاوي ، رائد التنوير العربي المبكر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014.
29. مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تح: أحمد حمدي، منشورات، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003
30. ناصر محمد، عمر راسم المصلح الثائر، منشورات دار الثقافة و السياحة، الجزائر 1984.
31. ناصر محمد ، المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، وإعلامها من(1931/1903)، ج 1، ط 2، (د.د.ن)، الجزائر، 2007.
32. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، بيروت، 1980.

المعاجم والموسوعات:

1. ابن منظور،لسان العرب، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ،القاهرة، (دس).
2. أحمد مختار عمر،معجم اللغة العربية المعاصرة،م1، عالم الكتب، القاهرة، 2008
3. الأصفهاني راغب ، المفردات في غريب القرآن ، تح: محمد السيد الكيلاني ، دار المعرفة بيروت ، (د س).
4. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،(دس).
5. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،(دس).

6. مجمع اللغة العربية،المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر، 1994.
7. مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، ط4،مكتبة الشرق الدولية،مصر، 2004
8. محمد اليعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الإعلام، ط2،الميزان للنشر والتوزيع،الجزائر، 1998.

المقالات:

1. بابا عبد الله ، موقف الشيخ البكري بن عبد الرحمان التواتي من كتابات محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري سنة 1898، مجلة العصور الجديدة، م 10، ع02، جامعة أحمد بن بلة وهران الجزائر، جوان2020.
2. بن أزواو فتح الدين ، جذور الفكر الإصلاحي في الجزائر ومؤثراته (1830/ 1931) ،المجلة التاريخية الجزائرية، ع 4،جامعة محمد بوضياف المسيلة(الجزائر)،2017.
3. آسيا بالحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، ع7، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، ديسمبر 2011.
4. العربي عمر، محمد بن أبي شنب سيرة ونضال (1869/1929)، مجلة أنثروبولوجية الأديان، م22، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، جوان 2018.
5. مصطفى بن واز، المنظور الفرنسي للصحراء الجزائرية دوماس ايجان نمونجا، مجلة عبر للدراسات التاريخية والأثرية، م3،ع1، جامعة ابن خلدون تيارت، (الجزائر)، 2020.
6. بن يوسف فاطمة، كتابات محمد بن مصطفى ابن الخوجة في جريدة المبشر (18651915-)، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية و الاجتماعية ، م09، ع 02، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر 2024.
7. بن يوسف فاطمة، قلفاط عبد الباسط ، الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة وجهوده الإصلاحية في الجزائر، (1865-1915)من خلال وثائق جديدة مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية و الاجتماعية م06، ع01، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي و التكوين، 2022.
8. حمادي هواري، الإصلاح والنهضة في الاسلام، مجلة الرستمية، م1، ع1،جامعة ابن خلدون (الجزائر)،2020.

9. خولة ديفلاوي،الإصلاح في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين،مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، م4،ع1، جامعة يحي فارس المدية(الجزائر)، 2023.
10. دراوي محمد، أضواء على حياة و مواقف الشيخ عبد الحليم بن سماية وجهوده الإصلاحية(1933-1966)، مجلة عصور ،ع36، جامعة وهران الجزائر ، 2017
11. صاري أحمد ، العروة الوثقى، صوت إسلامي في باريس، مجلة العلوم الاجتماعية والسياسية، ع5، جامعة باتنة(الجزائر)، 1996.
12. طيطوش حدة ، الكاردينال لافيجري و أبعاد مهمته التبشيرية في الجزائر(1867-1880)، مجلة مدارات تاريخية ، المركز المعرفي للأبحاث و الدراسات 2019.
13. صغيري منير ، الفكر الإصلاحي التجديدي للشيخ محمد عبده وأثره على الحركة الاصلاحية في الجزائر(1903/1931) ،مجلة المعارف للبحوث والدراسات، جامعة الوادي(الجزائر)،(2012/2013).
14. قبال مراد، السياسة الاجتماعية الفرنسية في الجزائر أهدافها وتداعياتها،(1830-1939)، مجلة القرطاس، ع09، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان ، الجزائر، جويلية 2018
15. قنان جمال، نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامية و الجامعة الإسلامية بالقرن 19، المصادر ع11، جامعة الجزائر.(د س).
16. كرليل عبد القادر، نشأة الصحافة في الجزائر، المصادر، ع11، جامعة الجزائر
17. كمال خليل، الفكر الإصلاحي عند عمر بن قدور1886-1932، مجلة البحوث التاريخية ، م01، ع02، جامعة المسيلة -الجزائر 2017.
18. كندري حسن عكاش عبد السلام ، أنثوغرافية المجتمع الجزائري من خلال مؤلفات المؤرخ أرسنت مارسييه، مجلة روافد، م 08، ع02، جامعة عين تيموشنت الجزائر 2024.
19. لكحل عبد الكريم السياسة الاستعمارية العسكرية و الاقتصادية و تأثيرها على الجزائر (1900-1930) المجازرة و مصادرة الأراضي نموذجا، مجلة دراسات و أبحاث ، م 15، ع 01، جامعة زيان عاشور الجلفة ، الجزائر 2023.
20. مصطفى ماضي، قاسم أمين المثقف بقضايا نهضة المرأة، مجلة أسئلة ورؤى، م2، ع4، جامعة الجزائر 2.
21. نواسة محمد، مئوية الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة(1865-1915)، مجلة القلم ، ع ت جانفي 2016.

22. وادي أحمد ، السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع و الأمن و الهوياتي في الجزائر مجلة الناقد للدراسات السياسية ، ع02، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، أفريل 2018.

23. واضح شهرزاد ، "قضايا الهوية الوطنية في كتابات النخبة الجزائرية (مصطفى ابن الخوجة نموذجًا)"، مجلة مدارات تاريخية، م 1، ع 3، جامعة الجزائر، سبتمبر 2019.

الرسائل الجامعية:

1. بن عدة عبد المجيد، الخطاب النهضوي في الجزائر ، (1925-1954)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التراريخ العربي المعاصر ، قسم التاريخ جامعة الجزائر ، (2004-2005)

2. بن علي زهير ، قضايا المرأة في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية (1925/1954)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية و الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة،(2013، 2014)

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

البسملة	/
اهداء	/
شكر و عرفان	/
مختصرات الدراسة	/
مقدمة	أ- و
الفصل التمهيدي: إرهاصات تشكل الحركة الإصلاحية في الجزائر	
• أولا : مفهوم الإصلاح	08
• ثانيا: مفهوم الحركة الاصلاحية	10
• ثالثا: ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر	11
الفصل الأول: الحياة الشخصية لمحمد بن مصطفى ابن الخوجة	
• أولا: مولده ونسبه	16
• ثانيا: كنيته	16
• ثالثا: نشأته	17
• رابعا: تكوينه العلمي والعوامل المؤثرة فيه	18
الفصل الثاني: وسائل وآليات الإصلاح عند ابن الخوجة	
• أولا: شيوخه	26
• ثانيا: الكتابة الصحفية.	29
• ثالثا: التعليم المسجدي.	34
• رابعا: التآليف العلمية.	36
الفصل الثالث اهتمامات وقضايا الاصلاح عند ابن الخوجة	
• أولا: الدعوة إلى إصلاح حال المرأة	45
• ثانيا: الاهتمام بالعلم والتعليم	55
• ثالثا: الدعوة الى الاهتمام بالصحة	60
• رابعا: الدفاع عن العقيدة الإسلامية	63
• خامسا: محاربة البدع والخرافات	66
خاتمـــــــة	71

فهرس المحتويات

الملاحق	75
قائمة المصادر والمراجع	83
فهرس المحتويات	/
الملخص	/

ملخص الدراسة:

تناولت الدراسة سيرة احد ابرز أعلام الجزائر وأحد رواد الحركة الاصلاحية في العصر الحديث وهو الشيخ محمد بن مصطفى ابن خوجة ،الذي ولد بمدينة الجزائر سنة 1865م ،ترعرع وسط عائلة شريفة وبيئة دينية واجتماعية ،وقد جسد ابن الخوجة في شخصيته واقع الجزائر المأساوي تحت نير الاستعمار وسعى من خلال برنامجه الإصلاحي الى دفع المجتمع نحو التقدم خاصة في ضل التصاعد الثقافي الفرنسي ،الذي شكل تهديدا على الهوية الوطنية معتمدا على جملة من الوسائل أبرزها التأليف إذ خلف تراثا عميقا ، كما أولى أهمية للعمل الصحفي من خلال عمله في جريدة المبشر وبعد انسحابه من العمل الصحفي التحق بالتعليم بجامع السفير، من ابرز القضايا التي عالجها الشيخ نجد في طليعتها قضية المرأة والتعليم ،كما كان له اهتمام بالصحة واستطاع الدفاع عن العقيدة الاسلامية ومحاربة البدع والخرافات .

توفى رحمة الله عليه سنة 1915م ودفن بمقبرة الحامة.

الكلمات المفتاحية: محمد بن مصطفى ابن خوجة - الحركة الإصلاحية - الهوية الوطنية

ABSTRACT

This study explores the biography of Sheikh Muhammad bin Mustafa bin Khoja, one of Algeria's prominent figures and pioneers of the reformist movement in the modern era. Born in the city of Algiers in 1865, he grew up in a noble, religious, and social family. Ibn Khoja embodied in his personality the tragic reality of Algeria under colonial rule. Through his reformist program, he sought to push society towards progress, especially in the face of the escalating French cultural encroachment, which posed a serious threat to national identity. He relied on a range of influential methods, most notably authorship, given its profound legacy. Furthermore, his early involvement in journalism and his subsequent withdrawal from direct press work to pursue education at the Jamia al-Safir mosque underscored the significance of intellectual and educational endeavors. Among the most prominent issues he addressed were women's rights and education. He also demonstrated keen interest in public health and successfully defended Islamic faith while combating innovations and superstitions.

He passed away in 1915 and was buried in the Public Cemetery.

Key words : Mohammed bin Mustafa Ibn Khodja - Reformist movement- national identity